السبت 7 تشرين الأول 2023
العدد 5029 السنة الثامنة عشرة
Samedi 7 Octobre 2023 nº 5029 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات
الزير سالم ضيفاً على رولان بارت

«البقّ الفرنسي» قادم إلى لبنان [4]

الدوحة تزيد الإغراءات إلى 4 مليارات دولار
المهمة القطرية: إزاحة فرنجيّة فقط [2]

اطلب القوس مع الأخبار

سوريا
آن أوان «استعادة» الشمال
[8 ـ 9]

(أ ف ب)

الحدث

الانقسام والقلق يظلّلان الأوروبيّين
قمة كئيبة في غرناطة
10

البلاد

النهج البديل لقطار التطبيع السعودي
12

في الواجهة

عون أم البيسري القطبة المخفيّة في لائحة الدوحة؟

بينما يمضي الموفد القطري أياماً اضافية في بيروت يجول على من كان التقى بهم ومن لم يسبق ان التقاهم، كي يسمع في المرة الأخيرة ماكان سمعه في المرة الاولى. تستقر حظوظ المرشحين المعلنين وغير المعلنين على نتيجة متساوية: صفر ومئة في المئة في الوقت نفسه

نقولا ناصيف

في اللائحة التي شاع ان الموفد القطري جاسم بن فهد آل ثاني الجولة الثانية من حراكه في بيروت، رغم ما وصله من انطباعات بأن الأفق السياسي الذي كان يريد المبعوث الرئاسي الفرنسي جان إيف لودريان فتحة مُحكم الإغلاق. لم يمرّ كثيراً على لقاءاته التي عقدها مع جهات سياسية حتى كان «أبو فهد» نفسه يتحدث عن تعقيدات تواجه مهمّته. اصطدمت ظنون الوسيط الجديد بالواقع، حيث لم تنفع المغريات، والجواب الذي اكتملت عناصره حتى الآن يؤكد أن الهدف الوحيد للمهمة القطرية هو «إزاحة سليمان فرنجية، لا البحث عن خيار ثالث».

لبنان ليس في منأى عن التأثر بما يحدث في المنطقة، ولا سيما في ظل الحرب الدائرة في غزة، وهو ما يفسّر الاهتمام الدولي والعربي بالاستحقاق الرئاسي فيه. لكن ما يحدث في لبنان يكاد يكون فريداً من نوعه، إذ لا يوجد في أي مكان في العالم ما يشبه الفراغ الرئاسي الذي يعيشه منذ 31 تشرين الأول 2022، ولا ما يشبه الانقسام الحاد بين اللبنانيين حول مرشحين اثنين فقط، هما سليمان فرنجية وجهاد أزعور، ولا ما يشبه الدور الذي تلعبه قطر في هذا الاستحقاق.

لا يحتاج المرء إلى كثير من التدقيق ليلاحظ أن الدوحة تتعامل مع الاستحقاق الرئاسي اللبناني بوصفه جزءاً من ملفات أخرى تتابعها عن كثب، وتحاول أن تجد لها حلولاً، أو على الأقل أن تمنع تفاقمها. ولا يحتاج المرء إلى كثير من التدقيق ليلاحظ أن الدوحة تتعامل مع الاستحقاق الرئاسي اللبناني بوصفه جزءاً من ملفات أخرى تتابعها عن كثب، وتحاول أن تجد لها حلولاً، أو على الأقل أن تمنع تفاقمها.

يحظى قائد الجيش باجماع من الدول الخمس يفتقر اليه في الداخل

المستغنى عنهم، الا ان طرح اسمائهم في الوقت الحاضر يجعلهم اكثر تداولاً لا اكثر حظوظاً من سواهم. لم يُسقط اي منهم حتماً ترشيح الوزير السابق سليمان فرنجية، وهو في الواقع اقوى المرشحين مستمداً تقدمه من وقوف الثنائي الشيعي الى جانبه لا يتزحزح عنه. الاصح أنه الوحيد الآن خصم المرشحين الاربعة الذين حمل الموفد القطري اسماءهم.

اقدم الاربعة عمراً في الاستحقاق قائد الجيش، واحدثهم عهداً المدير العام للامن العام بالانابة. اما افرام وبارود فيؤتى عليهما احياناً ويُحجبان حيناً. لم يفصح اي من الافرقاء او اكثر من فريق عن تأييده لأي منهما كي يضاهيا فرنجية او قائد الجيش. مشكلة افرام وبارود ان لهما مناوئين في الفريق المسيحي، ويلقيان معارضة الفريقين السنّي والشيعي، ولا يبالي بهما الفريق الدرزي.

لأسباب كتلك وسواها، يدور الاهتمام او يفترض من حول ترشيحيْ عون والبيسري مع فارق جوهري بينهما: الاول ثمة اعداء له لا خصوم فحسب لا يريدونه رئيساً، ومتحفظون عنه يملكون مفتاح انتخاب الرئيس كالثنائي الشيعي، ومؤيدون لا يملكون ان يزعموا ان في وسعهم الى الآن على الاقل جمع اكثرية مطلقة من حوله. اما الثاني فلم يقل احد - خلافاً للمرشحين الثلاثة - انه لا يريده او يريده. ربما هو المفاجأة التي رجّح الموفد القطري مباغتة الافرقاء جميعاً بها على انه يقدم اليهم مرشح الخيار الثالث. مع ان العقبة الرئيسية، الوحيدة المعلنة من دون ان تكون تستهدفه او تصوّب اليه مباشرة، ان الثنائي الشيعي ليس في صدد التخلي عن فرنجية، وليس ثمة ما يدعوه الى مرشح ثالث ما دام يجد في مرشحه الزغرتاوي النموذج الذي يراه في الرئيس المقبل للجمهورية. المرشحان الفعليان الظرفيان الحاليان، لا النهائيان حتماً في مرحلة ما بعد جلسة 14 حزيران، هما عون والبيسري. هو الاستنتاج الطبيعي اذا كان لا بد من الاخذ في الحسبان ان الوساطتين الفرنسية والقطرية معاً - او منفردتين - وضعتا قاعدة جديدة لمقاربة الاستحقاق الرئاسي، هي تجاوز نتائج جلسة 14 حزيران باستبعاد مرشحيْها فرنجيه والوزير السابق جهاد ازعور، والذهاب الى مرشح ثالث يتاح التوافق عليه. بالتاكيد يجبه قائد الجيش المشكلة نفسها لرئيس تيار المردة، مفادها تعذّر التوافق عليه بين القوى الرئيسية الناخبة في الاستحقاق، وتعذّر استقطاب كل الطوائف اللبنانية - وهم ما بات الاهم الآن - الى جلسة انتخابه.

في ذلك تكمن المفارقة: يحظى قائد الجيش بتاييد غير معلن من الدول الخمس المعنية بلبنان اقرب ما يكون الى اجماعها، بينما يفتقر الى الاجماع الداخلي والى التوافق عليه حتى. الا انه يستمر مرشحاً رئيسياً ونداً لفرنجية، وإن فهم البعض المؤثر من تحرّك آل ثاني وكلامه المستجد عن مرشح ثالث كأنه يتنصل من قائد الجيش كي يذهب الى سواه. ذلك ما فسّر طرح اسم البيسري.

احدى العقبات المهمة المثارة في طريق انتخاب قائد الجيش، تطلّبه تعديل المادة 49 من الدستور. مذ طرح اسمه باكراً، في الشهر الاول للاستحقاق قبل سنة، جزم اكثر من فريق ناخب بالعقبة الدستورية قبل السياسية. رئيس البرلمان نبيه برّي قال مراراً ان لا تعديل للدستور. قال ايضاً ان لا عودة الى الطريقة نفسها التي انتخب بها الرئيس ميشال سليمان عام 2008 تبعاً للمادة 74 لتفادي تعديل المادة 49. كذلك افرقاء آخرون كرئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل مانع تعديل الدستور للسبب نفسه مضافاً اليه سبب آخر اكثر اهمية عنده وذو دافع شخصي، للحؤول دون انتخاب قائد الجيش.

مع طرح اسم البيسري في اللائحة القطرية كاحد الاحتمالات المتداولة، يُعاد طرح المشكلة نفسها: تعديل المادة 49.

ثمة وجهتا نظر متناقضتان: اولى تقول ان لا حاجة الى تعديل المادة كونه يحل في المديرية العامة للامن العام بالانابة وليس بالاصالة. اضف صدور قرار تعيينه عن وزير الداخلية في 3 آذار الفائت لا عن مجلس الوزراء، فلم يخضع التعيين للحالات المرعية في المادة 65 في الدستور لتعيين موظفي الفئة الاولى، كي تنطبق عليه شروط هؤلاء.

ثانية تذهب الى ابعد من ذلك باستنادها الى المادة 49 بالذات. ما تورده الفقرة الثالثة فيها انها تمنع «انتخاب القضاة وموظفي الفئة الاولى وما يعادلها في جميع الادارات العامة والمؤسسات العامة وسائر الاشخاص المعنويين في القانون العام مدة قيامهم بوظيفتهم» ما لم يكونوا استقالوا من الوظيفة وانقطعوا عنها او تقاعدوا في السنتين اللتين سبقتا موعد انتخاب الرئيس. تاتي المادة 49 صراحة على ذكر القضاة وموظفي الفئة الاولى ولا تاتي على ذكر قائد الجيش وحاكم مصرف لبنان. كلا مَن شغل اخيراً المنصبيْن قالا - او نُقل عنهما - ان قانونيْ وظيفتيْهما لم يشيرا الى ان اياً منهما هو موظف فئة اولى، في قانون الدفاع الوطني وفي قانون النقد والتسليف، ما يستتنيهما من التحضير الدستوري المطبق صراحة على القضاة (كرئيس مجلس القضاء الاعلى) وموظفي الفئة الاولى المنصوص عليه في المادة 49. واقع الامر ان الربط حاصل في العبارة المفتاح التالية «وما يعادلها» في الادارات العامة والمؤسسات العامة وسائر الاشخاص المعنويين في القانون العام مدة قيامهم بوظيفتهم. عندما عُدلت المادة 49 في الدستور عام 1990 وأُدخلت اليها فقرة ثالثة جديدة لا تمت بصلة الى تلك القديمة منذ عام 1926، لم يُقصد بين المحظّر انتخابهم سوى قائد الجيش وحاكم مصرف لبنان بالذات.

صلة الربط تلك تقيم في الجدول المطبق على الجيش وسائر الاسلاك العسكرية والامنية النظيرة المسمّى «جدول تماثل الرتب العسكرية وفئات الوظيفة العامة» بتصنيفه حامل رتبة عميد وما فوق مماثلة لموظفي الفئة الاولى، ورتبة عقيد ومقدم مماثلة لموظفي الفئة الثانية، وهكذا دواليك...

لأن قائد الجيش والضباط المماثلين لرتبته في اسلاكهم يتولون مهمات مطابقة لتلك المعهودة الى المدير العام في الوظيفة العامة، يمسي من الطبيعي انصياعهم لالتزام المنصوص عليه في المادة 49، المحظّر انتخاب اي منهم لرئاسة الجمهورية ما لم يصر الى ازالة المانع الدستوري. على اهمية هذا الشرط المقيّد، الرائج منذ عقد التسعينات، وهو الدرس السوري الاول في تطبيق اتفاق الطائف، ان السياسة فوق الدستور الذي ليس له الا الخضوع اليها. حدث ذلك اعوام 1995 و1998 و2004 و2008، ويمكن ان يحدث في اي وقت عندما يحين اوان التسوية والتفاهمات السياسية.

جدل دستوري قديم جديد يتزامن مع طرح اسم البيسري مرشحاً للرئاسة (الاخبار)

ابراهيم الأمين

جمهرة من أبالسة وعنصريّين

ثمّة في لبنان من يدفع المرء الى جلد ذاته مرات ومرات، لأنه محسوب على هذا الشعب. وثمّة سلوكيات لا صلة لها بأيّ شيء يتعلق بالإنسان، لا لجهة حقوقه أو حرمته أو حريته أو مصالحه، وهي سلوكيات عنصريّة مقيتة، تنمّ عن أحقاد يتمّ إفراغها في وجه من يعتقد هؤلاء أنه العدوّ الأقل مهابة. وليس عند اللبنانيين المشاركين، تحريضاً أو تجييشاً أو صمتاً على الجرائم التي ترتكب بحقّ السوريين، سوى تبرير عجزهم عن معالجة مشاكلهم. وهم يعمدون، كما في كل مرة، الى رمي الكرة بعيداً صارخين: إنها حروب الآخرين على أرضنا!

ثمّة حاجة الى علماء اجتماع ونفْس لفهم سلوك هذا القسم من الجمهور اللبناني. وهو الجمهور الذي أعاد انتخاب الطبقة التي أفقرته على مدى عقود، واستسلم مجدّداً لمرجعيات سياسية ودينية وخارجية تقبض على روحه منذ قرون.

مجانين يسيرون خلف مجرمين سيخرجون علينا غداً ليقولوا مجدّداً إنها حروب الآخرين على ارضنا!

فأعفاهم جميعاً من المسؤولية عن مآسيه، وقرر أن يحمّل النازح السوري المسؤولية عن كل ما أصابه ويصيبه وما قد يصيبه.

وإذا كان عدد غير قليل من السياسيين في لبنان لا يهتمّون إن ارتكبوا خطأً في التقدير أو في الأفعال، فكيف يرضى بعض الناس بالمضيّ في السير خلف هؤلاء، يردّدون ما يقال لهم، ويسيرون نحو ارتكابات أين منها أيام الاستعباد، ثم يجدون من يصفّق لهم، ويروّج لما قاموا به على أنه عمل بطوليّ يجب تعميمه. وهناك من يعدهم، إن هم أمعنوا في الجريمة، بأن يدفع لهم مقابل ما يقومون به!

اللبنانيون يعرّفون عن أنفسهم بأنهم «مغامرون»، قادرون على حمل حقيبة صغيرة، والسفر الى دول عربية أو غربية طلباً للعلم أو بحثاً عن عمل. وهم عندما يصلون الى ديارهم الجديدة، لا يوفّرون جهداً للحصول على رضى حكام تلك البلاد ومواطنيها. هل سمعتم أن لبنانياً واحداً شكا من تعامل أنظمة الخليج معه كعامل أو موظف؟ وهل اتّهم لبناني الشرطة الفرنسية بالعنصرية، أو الشرطة البريطانية بالفاشية، أو أجهزة الأمن الأميركية بأنها أهانته... ألا نعرف جميعاً حكاية اللبناني الذي يبدأ منذ الساعات الأولى لوصوله الى أيّ دولة في بناء شبكة علاقات، ومراضاة هذا أو ذاك، ومحاولة إقناع أبناء تلك الدولة نفسها بأن الواسطة أمر مستحبّ وله فوائده، ثم يقاتل بكل ما أوتي من قدرة للحصول على إقامة أو جنسية، ويحتال على القانون متى أتيح له، ويلتزم به متى كان العقاب قاسياً لأنّ المهم ألّا يُطرد من هذه الجنان!

هذا اللبناني نفسه الذي يقبل القيام بمهن كثيرة في بلاد الغربة، ويعود ليروي لأحفاده وجيرانه كيف اضطرّ إلى النوم على الأرصفة، وأمضى فترات يعيش على وجبة واحدة يومياً، وعمل لساعات طويلة بنصف أجر، وكافح للوصول الى ما وصل إليه... أي حصوله على رضى السلطات هناك، هو نفسه اللبناني الذي يتهم النازح السوري اليوم بأنه يأكل طعامه، ويحرمه من عمله، ويستولي على مقعد ابنه في المدرسة، الى آخر المعزوفة المقيتة. وهو نفسه اللبناني الذي يبحث عن أيّ جنسية غير جنسيّته، لكنه لا يريد منح جنسيّته لأحد حرصاً على نقاوة الدماء، وهو نفسه الذي يسافر اليوم ليعمل بأقل من 20 دولاراً في اليوم، لكنه لا يرضى بأقل من 30 دولاراً في اليوم في لبنان، وإذا ما قرّر صاحب العمل استخدام أجير سوري بكلفة أقل، يثور ضد العامل السوري، من دون أن يجرؤ على مواجهة رب العمل الذي فضّل السوري ليس فقط لأن أجره أقل، بل لأنه غير ملزم بتوفير الضمانات الصحية والاجتماعية له، وفوق ذلك، كونه يمارس فوقيّته عليه ويذلّه في كثير من الأحيان!

اللبنانيون الذين يريدون التخلص من السوريين بأيّ ثمن وبأيّ شكل، لا يريدون محاسبة أركان حكوماتهم، وقادة أحزابهم، ومراجعهم الدينية المنخرطة في إدارة شؤون البلاد والعباد، ولا يريدون أن يسألوهم يوماً عن سبب عدم إقامة معاهد فنية عالية الجودة، توفر جيشاً من الخريجين القادرين على القيام بأعمال لا يحترفها غير السوري اليوم في لبنان.

الغاضبون من الجمهور اللبناني، لا يسعهم إلا «فشّ خلقهم» بمجموعة من العمال السوريين الذين خرجوا مع طلوع الشمس بحثاً عن رزقهم في هذه الورشة أو ذاك الحقل. وأبناء الأثرياء من العنصريين يصرخون لأنهم يعانون من «تلوّث بصري» بسبب وجود النازحين السوريين، وهم أنفسهم الذين تكتب روايات طويلة حول علاقاتهم المقرفة مع العاملات في المنازل، أو الذين تعوّدوا على ترك عشرين عاملاً ينامون في غرفة واحدة، ولا من يسأل عن هواء نظيف أو طعام كافٍ أو دواء يعين!

الجريمة المستمرة التي ترتكب اليوم بحقّ النازحين السوريين جريمة موصوفة، وكل من يشارك فيها، تحريضاً أو تجييشاً أو صمتاً، مجرم كامل الأوصاف، وهو خادم لنفس الحكومة العالمية التي تعبث بكل الكوكب، وتشنّ الحروب هنا وهناك خدمة لمصالح أقلّية لا تعرف حدوداً للنهب والجشع. ومن يعتقد أنه يضرب هذا النازح، أو طرد ذاك من عمله، أو حرق غرفة مبيت لآخرين، يمكن معالجة أزمة النازحين، فهو واهم ومخبول، بل هو أداة في من يريد إشعال النار في هذه البلاد. يفعلها اليوم باسم المعركة ضد النازحين السوريين جميعاً، ثم يعمل غداً على فرزهم طائفياً فيصبح هذا مقبولاً والآخر مرفوضاً، ثم يصنّفهم بحسب درجة الولاء لهذا الزعيم أو ذاك، قبل زجّهم هم أيضاً في حروبنا اللبنانية اللامتناهية... ثم يخرج علينا من حصل على وسام الرجل الأبيض ليقول لنا في آخر المحاضرة: إنها حروب الآخرين على أرضنا!

المشهد السياسي

المهمة القطرية: إزاحة فرنجية فقط

يستكمل الموفد القطري جاسم بن فهد آل ثاني الجولة الثانية من حراكه في بيروت، رغم ما وصله من انطباعات بأن الأفق السياسي الذي كان يريد المبعوث الرئاسي الفرنسي جان إيف لودريان فتحة مُحكم الإغلاق. لم يمرّ كثيراً على لقاءاته التي عقدها مع جهات سياسية حتى كان «أبو فهد» نفسه يتحدث عن تعقيدات تواجه مهمّته. اصطدمت ظنون الوسيط الجديد بالواقع، حيث لم تنفع المغريات، والجواب الذي تؤكد أن الهدف الوحيد للمهمة القطرية هو «إزاحة سليمان فرنجية، لا البحث عن خيار ثالث».

لبنان ليس في منأى عن التأثر بما يجري في الإقليم. والدور القطري محصور في تدوير الزوايا بدلاً من باريس. وهناك قناعة مشتركة لدى القوى التي التقاها الجانب القطري بأن الإشارة الوحيدة على دخول الملف الرئاسي مربّع الجدية، هي الدخول المباشر للإدارة الأميركية السعودية. عدا ذلك، فإنّ أيّ حراك بما فيه الحراك القائم حالياً لا يهدف الى انتخاب رئيس.

على أن الطرف المكلّف بهذا الملف، أي قطر، طلب إليها التسلّح ليس فقط بأوراق اللجنة الخماسية وتعثّر المسعى الفرنسي، بل «سمح» لها بأن تستخدم سلاح المغريات المالية لتليين المواقف. وهي ورقة يحسن القطريون استخدامها. وتبيّن أن الأرقام حولها ليست ثابتة أيضاً، بل هي مرشحة للارتفاع كلما برزت العقبات أمام مهمة إطاحة فرنجية. وبينما تحدّث القطريون سابقاً عن استعداد لإنفاق نحو مليارَي دولار في مشاريع بنى تحتية وتعزيز احتياطي المصرف المركزي بالدولار، أظهرت الجولة الأولى من مساعي القطريين أن الرقم ارتفع الى أربعة مليارات دولار، وعرض القطريون أن يتم الاتفاق مع قوى أساسية على وجهة صرف جزء من هذه الأموال في حال سارت في سحب فرنجية أولاً، واختيار مرشح ترضى عنه السعودية وأميركا.

ومع أن الضابط القطري سمع كلاماً دبلوماسياً، لكن حازماً، برفض عندما يشعر بأنه محشور في الزاوية، يسارع الى القول: أنا مجرد وسيط، ولا دخل لي حتى أعلن موقفاً واضحاً أو حاسماً من هذه المسألة أو تلك؟

وقد تبيّن للقوى السياسية، التي التقت الضابط القطري، أن جولتَه الأولى كانت بهدف جسّ نبض رئيس تيار «المردة»، والسبر في خيار المرشح الثالث. وكان الجواب الحاسم والأخير أن «القرار يعود إلى فرنجية نفسه، وأن دعمه مستمر ولا تراجع عنه ما دامَ هو مرشحاً». وفي إحدى الجلسات، التي سأل فيها القطري عن سبب رفض البعض لقائد الجيش، سمع جواباً بصيغة سؤال: لماذا تعارضون أنتم وصول هذه المغريات، فإنه لم يتوقف عن استخدام لعبة الأرقام، مستنداً الى تجربة تقول إن القوى السياسية اللبنانية يسيل لعابها كلما ذُكرت الأرقام المالية أمامها، وإن انهيار الدولة في لبنان سيضطرّها إلى التنازل مقابل دفعة مالية تساعد على النهوض بالبلد. لكن أحد الخبثاء، ممّن التقوا الموفد القطري، قال له: «لماذا لا تقولون علناً إنكم مستعدون لإنفاق هذا المبلغ أو ذاك في هذا المشروع أو ذاك، وتحوّل ورقة الدعم الى ورقة للضغط على القوى السياسية غير المتجاوبة مع طرحكم؟».

طبعاً، لا يملك الموفد القطري أجوبة عمّا يطرح عليه من أسئلة، فهو عاد ليحذف الاسمين الأخيرين من التداول «لعدم جديّتهما».

وخلال الاجتماعات، شدد بن جاسم أكثر من مرة على عدم تمسك بلاده أو دول «الخماسية» بخيار قائد الجيش، وركز على انتزاع كلمة أو إشارة من ثنائي حزب الله وحركة أمل بإمكانية التراجع عن ترشيح رئيس تيار «المردة»، والسير في خيار المرشح الثالث. وكان الجواب الحاسم والأخير أن «القرار يعود إلى فرنجية نفسه، وأن دعمه مستمر ولا تراجع عنه ما دامَ هو مرشحاً». وفي إحدى الجلسات، التي سأل فيها القطري عن سبب رفض البعض لقائد الجيش، سمع جواباً بصيغة سؤال: لماذا تعارضون أنتم وصول سليمان فرنجية؟ فلم يجب الرجل بعدما فهم من محدثه أنه في حال كان هناك إصرار على قائد الجيش، فإن معارضيه في لبنان ليسوا أقل من المعارضين لفرنجية!

هذا السقف لم يسمع الموفد القطري أقلّ منه في بنشعي، بل كان فرنجية أكثر تمسكاً بترشحه، مؤكداً أنه لن يتراجع وليس في وارد مقايضة أو تسوية مع أحد. في الوقت ذاته، لم يكُن لدى هذا الفريق إجابات عن أسئلة عدّة، أبرزها: لماذا يركز الوسيط القطري على اسم البيسري، رغمَ العلاقة الجيدة التي تجمع الأخير بمعظم القوى السياسية، إلا أن أحداً لم يستطع العثور على سبب لطرحه وتسويقه والتمسك به الى هذا الحد. وهنا، بدأت الشكوك تتزايد في إمكانية أن يكون طرح البيسري مجرد مناورة لدفع فرنجية والفريق الداعم له الى التراجع. وقد تعزّزت هذه الشكوك بالمعلومات التي وردت عن لقاءات الضابط القطري بقوى المعارضة والتيار الوطني الحر، إذ تبيّن أن النائب السابق وليد جنبلاط هو الوحيد الذي أكد أنه سيسير بأيّ اسم يتفق عليه، بينما ربط قائد القوات اللبنانية سمير جعجع وأطراف أخرى موافقتهم على البيسري بموقف يصدر عن الفريق الآخر يعلن فيه سحب ترشيح فرنجية، أي أنه اشترط إعلان الموافقة على البيسري بانسحاب فرنجية أولاً، وكذلك كان موقف النائب جبران باسيل الذي التقى البيسري أكثر من مرة، وأظهر اقتناعاً به.

وبحسب مرجع سياسي معني، فإن الحركة القطرية «دخلت دائرة الشبهة». والقراءة الوحيدة للدور الذي تقوم به الدوحة بأنه «مجرد جزء من عملية شراء الوقت إلى حين حسم عدد من ملفات المنطقة، وأن المطلوب حالياً ليس انتخاب رئيس تسووي أو ما يعرف بالخيار الثالث الذي يرتضيه الجميع»، وإنما «مناورة تهدف الى سحب دعم حزب الله وأمل لترشيح فرنجية وعقد صفقة مع الأخير لسحب ترشيحه، فيخرج من حلبة المنافسة. لا يعني ذلك ارتفاع حظوظ البيسري الذي قد يكون مجرد ورقة في الخديعة، وربّما يُعاد لاحقاً طرح أسماء أخرى كقائد الجيش بعد أن تكون قد تمّت الإطاحة بفرنجية من دون أن يستطيع فريقه العودة عن تراجعه». لذا أصبح هذا الفريق، على خلاف غيره، أكثر تمسّكاً بخياره ويتعامل مع كل الحراكات بحرص شديد باعتبارها «مجرد فخاخ».

الدوحة تزيد الإغراءات وترفع الرقم الى 4 مليارات دولار

(الأخبار)

قضية

«البقّ الفرنسي» قادم

ضرب وباء «بق الفراش» باريس ومدناً فرنسية أخرى، وتسبّب بموجة من «فوبيا الحشرات»، ما طرح أسئلة كثيرة حول الصحة العامة ومدى أمان تلك البلاد لاستضافة الألعاب الأولمبية العام المقبل، ما قد يساعد على نقل الحشرة إلى أماكن أبعد، ومنها لبنان الذي قد لا ينتظر طويلاً وصول «البقّ الفرنسي»، مع حركة المسافرين التي لا تهدأ من فرنسا وإليها

(أ ف ب)

أثر ما بعد الصدمة

«التأثير النفسي للحشرة لا يقلّ خطراً عن أثرها العضوي»، تقول المعالجة النفسية غادة شعبان. 81% من الأشخاص الذين تعرضوا للعضّ من «بق الفراش» يعانون من تأثيرات نفسية، فـ«بعض الأشخاص الذين تعرّضوا للعضّ يفقدون القدرة على النوم بشكل جيّد». وأعادت شعبان السبب في ذلك إلى «اليقظة المفرطة، وسلوكيات التجنب، لإبعاد الحشرات غير الموجودة في الغرفة أصلاً». وربطت بين تطور التأثيرات النفسية التي وصفتها بـ«اضطراب ما بعد الصدمة»، وصعوبة التخلص من الحشرة في المنازل المصابة بها، وأشارت الى أشخاص تخلّصوا من كلّ أثاثهم المنزلي، وآخرين دخلت الحشرة إلى بيوتهم عدّة مرات، ما ضاعف من التأثيرات السلبية، وبعض المرضى صاروا يرفضون الدخول إلى المكتبات مثلاً لأنّ «بق الفراش» انتقل إليهم منها.

فؤاد يزبك

عاجلاً أو آجلاً، ستصل حشرة «بق الفراش» إلى لبنان على جناح طائرة، مع حركة المسافرين شبه اليومية بين المناطق الفرنسية الموبوءة ومطار بيروت. والحشرة لا تحتاج للوصول سوى الى الاندساس في حقيبة سفر تحتوي بعض الملابس. حتى اللحظة، لا إجراءات لمكافحة الآفة على المطار وفي النقاط الحدودية، علماً أن الحشرة خرجت عن السيطرة في فرنسا منذ أيام لتصل إلى الدول المجاورة مثل بلجيكا عبر القطارات أو الطائرات.

الإحصاءات تشير إلى أن واحداً من كل 10 منازل فرنسية مصاب بالحشرة، والتقارير الواردة تشير إلى انتشار أكبر في الأماكن العامة من دور السينما وغيرها، ما يضاعف من أثر المشكلة والقدرة على الانتشار. الصور الواردة من فرنسا تشير الى ضخامة 7 ملم ليست جديدة على فرنسا وجوارها. تعيش الأنثى منها حوالي سنة، ولديها قدرة كبيرة على التكاثر. كما يشير اسمها، تعيش حشرة «بق الفراش» في غرف النوم، بين الأغطية، وفي الأماكن الأبعد عن الضوء تحت الأسرّة، كما في أيّ مكان يحتوي على فرش كمقاعد وسائل النقل من سيارات وطائرات. وهي تتغذى على الدم البشري، وتنشط في الليل، تعضّ وتسحب كمية من الدماء تاركة خلفها جروحاً ومسببةً حكةً مزعجةً في الجلد وتورماً خفيفاً، من دون أن تسبّب، بشكل مباشر، أو تنقل، أيّ أمراض، بحسب اختصاصي المشكلة مع رمي سكان مدن كاملة أثاث منازلهم في الطرقات وتحوّلها إلى مدن أشباح.

ولفت شعيتو إلى «أنّ العضّات على الجلد قد تكون في أيّ مكان من الجسد، وتأخذ أشكالاً متعدّدة؛ أشهرها شكل حبة جلدية حمراء مهيّجة للجلد ومسببةً شعوراً بالحكّة والحرق، قد تكون الدليل الوحيد على وجود الحشرة». وطمأن شعيتو إلى «زوال العوارض بشكل تلقائي بعد حوالي عشرة أيام من العضة، شرط مكافحة الحشرة في الغرفة»، محذّراً الأشخاص الأكثر تحسساً من عوارض أكثر خطورة مثل صعوبة التنفس والتقرحات الجلدية.

وكان العالم قد تخلّص من تهديد حشرة «بق الفراش» بشكل شبه كامل مطلع الألفية الحالية، وأصبحت موجات انتشارها أقل حدّة. إلا أنّ ما يجري في فرنسا اليوم وصفته المراجع العلمية بـ«المقلق»، فالحشرة تحوّرت وأصبحت أكثر مقاومةً للمبيدات الحشرية من جهة، وارتفعت قدرتها على التكاثر، إذ يمكن أنثى «بق الفراش» وضع نحو 20 بيضة يومياً. وفيما تحاول العنصرية الأوروبية ربط إعادة انتشارها بالمهاجرين، تشير المراجع العلمية إلى أنّ حركة السياحة العالمية، ونقل البضائع، وسرعة تنقل الأشخاص أدّت إلى نقل الحشرة من بلد إلى آخر، وهذا ما دفع عدداً من البلدان الأوروبية إلى إعلان حالة الطوارئ، ولا سيّما بعد رصد الحشرة في وسائل النقل مثل القطارات والطائرات.

من جهتها، أكّدت المديرة العامة لشركة «بويكر» المتخصصة في مكافحة الحشرات بانا قبرصلي «وجود الحشرة في لبنان، إنّما من دون أن تشكّل تهديداً كبيراً، أو تتسبّب بانتشار واسع النطاق». ورأت أنّ دق ناقوس الخطر في فرنسا جاء بعد «رصد بق الفراش في وسائل المواصلات العامة، ما يعني إمكانية انتشارها بشكل كبير بين الناس». فـ«رصد الحشرة صعب، إذ تلدغ وتمص الدم من المصاب، وقد لا يلتفت المصاب إلى سبب اللدغة، ثمّ ترتاح لمدّة 5 أيام، لتتزاوج وتبيض».

وتخوّفت قبرصلي من وصول «البق الفرنسي» إلى لبنان عبر حقائب السفر، إذ إنّ الحشرة يمكنها البقاء داخل «سحابات» الحقائب، وتتخفّى في الغرف، ولا سيّما في حال وجود زوايا أو نقاط لا يتم تحريكها كثيراً. ونصحت القادمين من الدول الموبوءة حالياً بـ«اعتماد السبل الوقائية، وتنظيف الحقائب والملابس بالماء الساخن، وعدم إدخالها مباشرةً إلى غرف النوم، أو أماكن المعيشة في المنزل». أمّا المقيمون في الفنادق، فـ«عليهم تفقّد الأسرّة والبحث عن وجود نقاط دم، أو نقاط سوداء صغيرة تمثل بقايا الحشرات، أو البيض الذي يشبه الغبار، بالإضافة الى رائحة العفن».

> العنصرية الأوروبية تحاول ربط إعادة انتشار حشرة بقّ الفراش بالمهاجرين

الوفاية خير من العلاج

تشير المديرة العامة لشركة «بويكر» بانا قبرصلي إلى «أنّ العلاج يجب أن يحصل عند رصد أي مؤشر لوجود حشرة بق الفراش. فكلّما طالت المدة تصبح العلاجات أصعب، وقد تصل ألى الطلب من أصحاب المنزل الموبوء مغادرته لمدّة معيّنة».

أما طريقة المكافحة، فتتدرّج بحسب الحالةوتبدأ بالحرارة والبخار القاتل والطارد للحشرة. ولكن، في حال كان مستوى التفشّي كبيراً، تشير قبرصلي إلى «ضرورة عزل كلّ الأغراض المنزلية بعد تقييم حالتها، ومن ثمّ يعمد فريق متخصّص إلى تعقيمها بواسطة الغاز في عملية معقّدة، تحتاج إلى أشخاص مدربين للقيام بها».

تقرير

الأحزاب توجّه ضربة قاسية للنادي العلماني في LAU

فاتن الحاج

خرجت، أمس، معظم الأحزاب السياسية من الانتخابات الطالبية في الجامعة اللبنانية الأميركية راضية عن أحجامها التمثيلية، فنالت جميعها 29 مقعداً من أصل 30 في الحكومة الطالبية في حرمَي بيروت وجبيل، مقابل مقعد واحد لمرشح مستقلّ لا ينتمي إلى الأحزاب اليسارية والعلمانية. وحده التيار الوطني الحر خسر أمام تحالف حزب القوات والحزب الاشتراكي في حرم جبيل، فيما لم يحتفظ النادي العلماني بالمقاعد الثلاثة التي نالها العام الماضي في حرم بيروت، بعدما كان قد نال ستة مقاعد في العام الذي سبقه.

وفي النتائج، بدا متعذراً تحديد من الرابح ومن الخاسر في بيروت، باعتبار أن النظام الانتخابي المعتمد في الجامعة «صوت واحد لمرشح واحد (one student one vote)» يكسر الاصطفاف الحزبي. وفيما بدا أنه لم تكن هناك تحالفات سياسية واضحة، وأن بعض القوى نسّقت ربما مع بعضها البعض «على القطعة»، بحسب الكليات وفي الأماكن التي لم ترشح أحداً فيها، أصرّ مسؤول مكتب الشباب والرياضة في حركة أمل، علي ياسين، على القول إن «الحركة هي من بادرت إلى إعادة إشراك الحزب الاشتراكي وتيار المستقبل في الانتخابات بعد المقاطعة»، محتسباً حصة الاشتراكي والمستقبل ضمن التحالف مع أمل وحزب الله، ومؤكداً «أننا حصدنا 13 مقعداً مقابل مقعدين لحزب القوات». وتوزّعت المقاعد على القوى كالآتي: حركة أمل (6)، حزب الله (3)، الحزب الاشتراكي (2) وتيار المستقبل (2). وبناءً عليه، فإن «رئاسة الحكومة الطالبية يمكن أن تكون من نصيبنا».

في المقابل، قال المسؤول الطالبي في الحزب الاشتراكي، عجاج أبي رافع، إن الحزب خاض الاستحقاق منفرداً في بيروت، ففاز بمقعدين، وتحالف مع حزب القوات في جبيل، وفاز بمقعدين آخرين. كما نفى عضو مكتب قطاع الشباب المركزي في تيار المستقبل، بكر حلاوي، أن يكون التيار قد تحالف مع أيّ من القوى، مشيراً إلى أنه نال مقعدين بعدما رشح طالبين اثنين فقط.

ونفى حزب الله هو الآخر أن يكون قد خاض الانتخابات بصورة مباشرة، إذ إنه يقاطع الانتخابات منذ أكثر من عام اعتراضاً على النظام الانتخابي، لكنه دعم ثلاثة طلاب غير منظّمين أعربوا عن رغبتهم في المشاركة. وأضافت مصادر الحزب إن «مفاعيل الربح والخسارة تنتهي في اليوم الثاني للانتخابات. والاستحقاق لا يتجاوز الهمروجة السياسية واستثمار النتائج لتعويم هذا الحزب أو ذاك إعلامياً، لكون صلاحيات المجلس الطالبي لا تزال منزوعة، إذ لا رأي لممثلي الطلاب في قرارات المناهج وزيادة المنح التعليمية، ولا في دولرة الأقساط الجامعية، ولا حتى في تحديد أيام العطل».

من جهته، أشار هادي شعيتو من «النادي العلماني» إلى «أننا لم نستطع بإمكاناتنا المتواضعة أن نواجه ماكينة الأحزاب التي شاركت بزخم كبير هذا العام». ورأى أن «المعارضة كانت رأس حربة في المجلس الطالبي قبل سنتين، فيما لم يشكل المجلس الطالبي المكوّن من أحزاب السلطة أيّ ضغط على الإدارة الجامعية»، مشيراً إلى أن الانتخابات «فرصة أساسية تستطيع من خلالها المجموعة السياسية أن تعبّر عن فكرها وانتمائها».

> لم تشهد الانتخابات تحالفات سياسية واضحة

وبينما كان الطلاب - الناخبون، أمس، يتابعون صفوفهم وامتحاناتهم كالمعتاد، خلا حرم بيروت وجبيل من الحملات الانتخابية والتجمّعات والشعارات والأعلام الحزبية وساد الفتور الأجواء الانتخابية.

وبلغت نسبة الاقتراع في حرمَي بيروت وجبيل 67,41%، إذ اقترع 5204 طلاب من أصل 7720 ناخباً. وانتخب الطلاب ممثليهم في الحكومة الطالبية إلكترونياً بواسطة هواتفهم وحواسيبهم من أيّ مكان وُجدوا فيه، فيما نفت مصادر طالبية إمكان أن يشوب مثل هذه العملية أيّ تزوير، لكون أنظمة الحماية التي وضعتها إدارة الجامعة تجعل التسلل إلى التصويت أمراً صعباً.

(أرشيف)

تقرير

توقيف مقالع وكسارات البترون: لا محاسبة ولا من يحاسبون!

زينب حمود

انتهى التحقيق في قضية تشويه المقالع والكسارات لمنطقة وادي نهر الجوز في البترون بـ«وقف الأعمال نهائياً»، كما يؤكد النائب العام البيئي في الشمال غسان باسيل. وهي خطوة إيجابية، لكن تنقصها محاسبة المخالفين، وتنظيم «بدعة» الأذونات التي تمنحها وزارة الداخلية لنقل «الستوكات» القديمة، والتي استخدمها أصحاب شركات الترابة للتحايل على القانون، والتوسّع في أعمال الحفر، علماً أن «الداخلية» تنفي منح أيّ أذونات في المنطقة!

فبعد اطلاع وزارة البيئة على ملف إقامة مقالع في موقعَي بشتودار عورا وداعل القريبين من وادي الجوز المصنّف موقعاً طبيعياً منذ عام 1998، «تبيّن عدم وجود موافقة حديثة صادرة عن المجلس الأعلى للمقالع والكسارات، ولا عن أيّ من وزارات البيئة والداخلية والبلديات والزراعة، فطلبنا من المدّعي العام وقفها»، كما يقول وزير البيئة ناصر ياسين، فيما أكّد باسيل لـ«الأخبار» أنّ «الأعمال توقفت بالكامل في المنطقة». لكنه لفت إلى «حقيقة مؤلمة»، وهي أن «التشويه البصري الذي يشبه الغبار، بالإضافة الى رائحة العفن» التي تضم مستثمرين كثراً في مقالع وكسارات». ولم يُجب عن الإجراءات التي اتّخذت بحقّ المخالفين بسبب «سرية التحقيقات»، مشيراً إلى أنه «جرى استدعاؤهم، وأبرز بعضهم رخصاً تسمح بنقل ستوكات قديمة، أما من يستثمر في كسارة فنلاحقه ولن نتهاون معه».

ومنذ بدء التحقيق، تبلّغ ياسين من القوى الأمنية والقائمقام، أن عدداً من المستثمرين يحملون رخص نقل ستوكات قديمة تأذن بها وزارة الداخلية «من دون أن تمرّ بوزارة البيئة»، وتهدف إلى تنظيم عمليات نقل النواتج من المقالع والكسارات وضبطه. لكن الناشط البيئي بول أبي راشد يُدرج هذه الأذونات في إطار «التنفيعات والتحايل على القانون. ففي غياب الرقابة، من يضمن ألا تستمر الشركات باستخراج مواد جديدة، أو أن لا تقوم بأعمال تفجير داخل العقار»، علماً أن مصادر في وزارة الداخلية تؤكد أنه «لم يتبيّن وجود أي مستند في الإدارة بهذا الخصوص في منطقتَي داخل وبشتودار عورا»، فكيف ظهرت «براءة» أعمال الحفر في المنطقتين، ما لم تُراجع وزارة الداخلية، ومن أين أتى المخالفون بهذه «التراخيص»؟ وبعيداً عن أنّ «الطاسة ضايعة» في هذا الملف، من شرعن هذه الأذونات أصلاً؟ وهل هي مفتوحة الأمد؟ وكيف يُسمح بنقل ناتج جرى استخراجه بصورة مخالفة للقوانين؟ ومن يضمن مراعاة المعايير البيئية ما دام لا صلاحية لوزارة البيئة بإبداء الرأي فيها؟ والأهم من ذلك كله، من يضمن أن يتقيّد الحائزون عليها بنقل الناتج من دون التوسع؟

> من يمنع اذونات نقل «ستوكات» في موقع طبيعي لا يُسمح فيه بإقامة كسارة اساسا؟

وفق مصادر الداخلية، تستند الوزارة إلى قرار صدر عن مجلس الوزراء في آب الماضي، يسمح بنقل وتصريف النواتج الموجود في العقارات العائدة لشركات الترابة التي سبق أن استحصل أصحابها على موافقات سابقة بموجب القرارات المشتركة الصادرة عن وزيري الصناعة والبيئة لمدة ثلاثة أشهر من تاريخ صدور هذا القرار. بمعنى الآخر، تنتهي صلاحية هذا القرار في 11 من الشهر المقبل، وهو لا يسمح بأي أعمال استخراج أو تفجير لأية مواد جديدة، وفقاً لشروط تحددها وزارة الداخلية والبلديات. بناءً عليه، أصدرت «الداخلية» التعميم 11755 في 18 آب الماضي لأصحاب شركات الترابة الذين يملكون ستوكات وينوون نقلها إلى المعامل التقدم بطلب نقلها. واقتصر ضمان تطبيق الشروط بتعهد صاحب الشركة عدم إدخال كسارة متنقلة أو استخراج مواد جديدة والتقيد بالشروط البيئية والمهلة الزمنية التي تحددها الوزارة للنقل.

الجدير بالذكر أنّ هذه الأذونات تُعطى للحائزين على رخصة كسارة أو مقلع أساساً، لكن ذلك لن يحصل في منطقة مصنّفة موقعاً طبيعياً يُمنع فيها استثمار مقالع الصخور للكسارات والرديميات ومحافر البحص المفتّت طبيعياً والمقالع لصناعة الترابة فيه، بموجب مرسوم «تنظيم المقالع والكسارات». هذا يعني أنّ المستثمرين الكثر الذين تحدث عنهم باسيل مخالفون جميعهم. وفيما توقفت الأعمال في المنطقة، كما أعلن، من يضمن عدم تكرارها بغياب أي عقوبة رادعة؟

مقالة

أسعد أبو خليل

شهادة فؤاد أبو ناضر: تعنّت اليمين الطائفي

ليس لي البتّة مِن هوى بالحرب الأهليّة. على العكس، إنني أرى أن أخطرَ ما يمكن أن يواجه لبنان اليوم هو الفتنة، لكن ما يُطمْئنني هو أن الطرف الأقوى لا يريدها وسيمنع نشوبها بالقوّة، فيما الأطراف التي تريدها وتؤجّج لها ستفشل في مسعاها بسبب ضعفها. ولقد جرّبت السعوديّة في الأحداث التي رافقت 7 أيّار أن تشنَّ الحرب ضد الحزب لكنّ القوة الكاسحة للحزب أفشلت المخطّط في غضون ساعات. الذي هزم إسرائيل، يستطيع أن يمنع الحرب الأهليّة ومن دون عنف على مستوى شامل.

كنتُ أريد أن يكون كتاب فؤاد أبو ناضر (فؤاد أبو ناضر، «لبنان: نضالي، قضيّتي: نحو جمهوريّة ثالثة») غير ما هو عليه. كنتُ أنتظر دائماً شهادة مراجعة حقيقيّة من قبل مقاتلي وقادة ميليشيات الطرف اليميني في الحرب الأهليّة. لكن ما يصدمني هو العناد في المواقف، كل المواقف، عندهم. في المقلب الآخر، أرى في مقاتلي الحركة الوطنية وقادتها لهجة ومضموناً اعتذارياً يكاد أن يعترف بأحقّية السرديّة الانعزاليّة للحرب (عندما يعتبر إلياس جرادة أن ميليشيات «الكتائب» و«الأحرار» هي مقاومة لبنانيّة فإنه بذلك يهين شهداء الحركة الوطنيّة). محسن إبراهيم اعتبر أن الحركة الوطنيّة هي التي حمّلت لبنان أعباء القضيّة الفلسطينيّة، لا إسرائيل. وهو أضاف أن الحركة (التي لم تكن لديها ميليشيات عند نشوب الحرب، على عكس أحزاب اليمين) استسهلت الانزلاق إلى الحرب.

يبدو فؤاد أبو ناضر في مقابلاته معتدلاً، مقارنةً بآل الجميّل وجحجح. وهو يرى في نفسه رجلاً معتدلاً. لكن سرديّة أبو ناضر متعنّتة في إنكار حقائق أساسيّة عن تاريخ الحرب وعن تاريخ الحرب الأهليّة التي شارك فيها على مستوى القيادة. تقرأ سرديّة أبو ناضر (وهي السرديّة الانعزاليّة المعتمدة عند جميع قادة الأحزاب اليمينيّة والتي يشارك فيها المحافظون اللبنانيّون الجدد، مثل وليد جنبلاط وتوفيق سلطان ومحسن إبراهيم وغيرهم) وتتساءل: كيف يمكن أن يصدّق أبو ناضر ما كتبه، مع العلم أنه كتبه بالفرنسيّة لجمهور غربي.

الذي أثار عجبي في هذا الكتاب هو ما ورد في صفحة 171 إذ يقول أبو ناضر: «حملتُ السلاح وأقاتل اليوم أيضاً من أجل القضيّة نفسها، أن نتمكّن من العيش في هذه البلاد -مسيحيّين، مسلمين، ودروزاً- بكل حريّة وأمان وكرامة ومساواة». إنّ الحزب الذي قاتل أبو ناضر فيه في عام 1975 وما بعده كان يقتل مواطنين آخرين ليس من أجل المساواة وإنما من أجل منع أي إصلاح ينزع نحو المساواة. النظام اللبناني قبل الحرب كان نظام أبارتايد، مبنياً على نسق النظام الإسرائيلي أو الجنوب أفريقي. وكان المسلمون يشكّلون أكثريّة فيه لكنّ الزعماء الموارنة اعتمدوا شتّى الحيل غير الديموقراطيّة لمنع تحقيق المساواة: من منع تعلّم المسلمين وعرقلة مشروع إنشاء كليّة حقوق عربيّة تابعة للجامعة اللبنانيّة، إلى حظر شهادة التوجيهيّة إلى الإصرار على عدم مساواة صارخة في حصر الامتيازات السياسيّة والاقتصاديّة بالموارنة، إلى ربط لبنان بسياسات خارجيّة متعارضة مع أهواء الأكثريّة الساحقة من المسلمين (ومن بعض المسيحيّين). هل كان السبت الأسود، والذبح على الهويّة الذي استهدف مسلمين لبنانيّين، من أجل تحقيق المساواة؟ هل كان تهجير المسلمين من النبعة ومن حي بيضون من أجل تحقيق المساواة أم من أجل منع التوطين؟ تلجأ السرديّة المعتمدة للحرب إلى انتقاء جزئي للجانب العسكري في الحرب كي تصبح الحرب صافية بين مسيحيّين وفلسطينيّين فقط. إنّ الجبهة العسكريّة الأولى في الحرب، الشياح—عين الرمّانة، هي جبهة لم يكن للفلسطينيّين دور فيها. هي كانت بين شيعة ومسيحيّين فقط.

يقول إنّ الجانب اللبناني في الحرب لم يكن «كبير الشأن» (ص. 13). لكن معظم ضحايا الحرب كانوا من اللبنانيّين. الأحزاب الموارنيّة قاتلت الشيعة والسُّنة والدروز وتقاتلوا في ما بينهم. يقول إنّ الأحزاب المؤيّدة للفلسطينيّين هدفت إلى «إسقاط الرئاسة المسيحيّة للدولة اللبنانيّة الوحيدة في العالم العربي» (ص. 13). هذا كلام ينطلي على قرّاء أحزاب يمينيّة مسيحيّة في الغرب لكن على اللبنانيّين؟ ثم، صحيح، تمرّد المسلمون في لبنان، كما تمرّد يساريّون، ضد نظام لبناني طائفي كان يحصر كل الصلاحيّات برئيس ينتمي إلى طائفة تمثّل أقليّة بين اللبنانيّين. لا نستطيع أن نمنع عدّ الطوائف وأن نصرّ على حصر الصلاحيات بطائفة. فلْيُلغَ العدّ الطائفي من أساسه كي نحقّق بالفعل المساواة التي ينشدها، نظرياً، أبو ناضر.

يتحدّث أبو ناضر عن الطوائف بتعميمات تنميطيّة ظنّ المرء أنها لم تعد مقبولة في القرن الحالي. يقول عن سنّة لبنان: «معظم السنّة اللبنانيّين مؤيّدون لتوطين الفلسطينيّين» (ص. 16)، وعن الدروز يقول: «لا يريد الدروز البحث في الأمر». لكنّ أبو ناضر يكشف عن جانب إنساني في شخصيّته إذ يقول: «لا اعتراض لي على الفلسطينيّين بصفتهم شعباً». هذا موقف إنساني بحقّ. ويتغاضل أبو ناضر بالنسبة إلى المسلمين في لبنان، فيقول: «اليوم، يشارك مواطنونا المسلمون في فكرة الحريّة» (ص. 21). وهنا، يتوجّب على المسلمين في لبنان توجيه الشكر الرسمي إلى المسيحيّين الذين علّموهم حبّ الحريّة (والحياة أيضاً؟). ويقول عن الحريّة

> نحتاج إلى شهادات لمقاتلين وقادة في ميليشيات الحرب. كل هذا الكمّ سيساعد في كتابة تاريخ الحرب يوماً ما. لكن غالبية الشهادات تأتي من طرف اليمين لأن قادة الحركة الوطنيّة، في أكثرهم، أصبحوا في مواقع سياسيّة مضادّة وهم لا يريدون التذكير بماضيهم. أصبحوا من جماعة لبنان أولاً والسعوديّة أولاً. لكنّ أبو ناضر لا يساعد في مشروع تأريخ الحرب لما شاب كتابه من انحياز وتلفيق وتزوير للحقائق.

هذه: «حال الأحرار هذه التي تميّز اللبنانيّين عموماً والمسيحيّين خصوصاً» (ص. 31). ويبدي أبو ناضر إعجابه بالمسلمين الجدد، مثل فؤاد السنيورة الذي أعطى «الضوء الأخضر» ليقصف المخيّم الفلسطيني في نهر البارد (ص. 25). ويقول إنه في حلقة تلفزيونيّة شارك فيها مع شيوعي وبعثي، أبدى الرجلان خيبة حسنة من القضيّة الفلسطينيّة.

ويتوجّه أبو ناضر بالحديث إلى الغرب، ويقول إنهم يمكن أن يستفيدوا من خبرات فريقه المسيحي في لبنان في التعامل مع المسلمين في الغرب (ص. 33). نرجو هنا ألا يكون أبو ناضر في وارد حثّ الغرب على ارتكاب مجازر مثل السبت الأسود والقتل على الهويّة والتهجير الطائفي. ويذكّر أبو ناضر بأن حزب الكتائب كان يحمي الحيّ اليهودي منذ 1958 (ص. 33)، وهذا صحيح لكنه نسي أن يذكر أنه فعل ذلك مقابل دفوعات منتظمة من إسرائيل. ويتحدّث أبو ناضر كثيراً عن مسيحيّي الشرق لكن، على عادة الكتائبيّين، يغفل في حديثه عن ذكر مسيحيّي فلسطين. ليسوا في الاعتبار. ويصحّح أبو ناضر صورة غربيّة مغلوطة عن «الكتائب» فيقول إنها، خلافاً للحزب التقدمي الاشتراكي الذي لا يمتّ بصلة إلى اسمه، تقدميّة واشتراكيّة حقّة (ص. 51).

أمّا عن اشتعال الحرب، فهناك المزيد من الروايات الجديدة التي يطلع بها حزب الكتائب سنة بعد سنة. لو راجعنا أرشيف سنة 1975، لما وجدنا أن بيانات حزب الكتائب ذكرت أي شيء عن محاولة لاغتيال بيار الجميّل في يوم البوسطة الشهير. أبو ناضر ينفي أن يكون هناك مسلّحون كتائبيّون في ذلك اليوم: أي إن الرصاص أنهمر من العلياء وقتل كل ركّاب البوسطة. ويذكر حادثة جرّ أمين الجميّل لرئيس الحكومة، رشيد الصلح، من يده، ويقول إن ذلك كان مشهداً «عديم القيمة» (ص. 75). ويعترف أن بشير الجميّل عندما اختُطف في عام 1970، كان في طريقه لزيارة مقاتلين في الدكوانة (ص. 60). هذا الحزب نفسه زعم أنه لم يكن يملك السلاح في عام 1975، بالرغم من تسليح إسباني وألماني وأميركي وسعودي وإسرائيلي وجنوب أفريقي وإيراني. وبالرغم من كل هذا الدعم، يزعم أبو ناضر أن العناصر كانوا يدفعون ثمن الرصاص. ويزعم أن الفلسطينيّين (يقول عنهم إنهم «باعوا حقاً قضيّتهم») كانوا يبيعونهم السلاح (ص. 64). يعترف أن التدريب بدأ في عام 1971، فيما لم يبدأ أي تدريب لأحزاب الحركة الوطنيّة قبل عام 1975. ويعترف بأن بشير شكّل «فريق نخبة طلابيّة» (ص 62) لكنه لا يُعلم القارئ أن مهمّة هذه النخبة كانت التجوال على المدارس والجامعات من أجل ضرب الطلاب اليساريّين والفلسطينيّين (وكانوا مسلّحين بهراوات وجنازير). وكانت إدارة الجامعة الأميركيّة تنسّق مع بشير الجميّل في قمع الطلاب (كما ورد في كتاب جورج فريحة، «مع بشير»).

ويتحدّث عن الصراع الدموي بين «الكتائب» و«الأحرار» فيقول مُوضّحاً للرأي العام الغربي عن علاقة بيار الجميّل وكميل شمعون: «لا تنافس بل احترام عميق» (ص. 84). وكل الصراعات والاشتباكات بين الطرفيْن، ليست مهمّة في تاريخ حزب الكتائب لا بل هو يلقي باللائمة على النظام السوري ومخابرات الجيش (ص. 84). أي إن النظام السوري كان يحثّ الكتائبيّين على قتل عناصر «الأحرار» لتنفيذ مآرب «البعث». هذه الروايات هي مصارحة في قاموس أبو ناضر. ثم هناك مجزرة إهدن، ومن الصعب أن تغضّ النظر عنها. هنا، ترد زلّة لسان من أبو ناضر إذ هو يذكر تمسّك سليمان فرنجيّة في مؤتمرَيْ لوزان وجنيف بالامتيازات الطائفيّة المارونيّة ويقول فيه: «أعطى سليمان فرنجيّة الأولويّة لقضيّة المسيحيّين ولبنان» (ص. 87). قضيّة المسيحيّين هي نفس قضيّة لبنان؟ ثم كيف نوفّق بين الكلام عن قضيّة المسيحيّين والكلام الشعري في الكتاب عن المساواة وعن الوطنيّة ونبذ الطائفيّة؟

ولا يتورّع أبو ناضر عن الترويج لنظام بيروت الشرقيّة على أنه كان نموذجاً من الحرّيات. لا يذكر أبو ناضر عدد المسلمين والمسيحيّين الذين قُتلوا في تلك المناطق بسبب تأييدهم لأحزاب الحركة الوطنيّة، أو ببساطة بسبب طائفتهم. يقول تدليلاً على الحرّيات إن (الكوميدي؟) وسيم طبارة وزميله محمد شبارو كانا يقدّمان عروضاً في الشرقيّة. لكنّ الرجليْن كانا مؤيّديْن لـ«الكتائب». ولا يصدق أبو ناضر عندما كان يقول إن العروض كانت تتضمّن انتقاد بشير الجميّل، الذي كان يحضر عروضهم.

ويتحدّث أبو ناضر وغيره عن بطولات وملاحم في معارك ضد السوريّين (والعثمانيّين أيضاً) (ص. 95). لكن متى وأين كانت هذه المعارك؟ معركة الأشرفيّة كانت عبارة عن قصف سوري مقيت للمنطقة الشرقيّة. لم تكن هناك معارك. وكل معركة خاضها حزب «الكتائب» خسرها: الجبل والفنادق وزحلة وشرق صيدا. هذا تاريخ متخيّل يرويه أبو ناضر. وما يُسمّى بمعركة زحلة كانت استفزازاً من بشير الجميّل لجرّ تدخل إسرائيلي لصالحه. حتى المراجع الإسرائيليّة تعترف بذلك.

نحتاج إلى شهادات لمقاتلين وقادة في ميليشيات الحرب. كل هذا الكمّ سيساعد في كتابة تاريخ الحرب يوماً ما. لكن غالبية الشهادات تأتي من طرف اليمين لأن قادة الحركة الوطنيّة، في أكثرهم، أصبحوا في مواقع سياسيّة مضادّة وهم لا يريدون التذكير بماضيهم. أصبحوا من جماعة لبنان أولاً والسعوديّة أولاً. لكنّ أبو ناضر لا يساعد في مشروع تأريخ الحرب لما شاب كتابه من انحياز وتلفيق وتزوير للحقائق.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

تقرير

مسارا التطبيع و«اليمن» متلازمان

الرياض وتل أبيب تكبّران طموحهما

لقمان عبد الله

إذا كان التطبيع السعودي - الإسرائيلي «المنشود» عنواناً لتحالف إقليمي بوجه محور المقاومة الذي يقع اليمن في قلبه، فإن كلا المسارَين، أي التطبيع والحرب اليمنية، يضحيان مرتبطين عضوياً، وخصوصاً أن التعاون السعودي - الإسرائيلي في اليمن قائم منذ ما قبل الوصول إلى الحديث عن صفقة ثلاثية بين الرياض وواشنطن وتل أبيب. ولأن أيّ صفقة من هذا النوع ستؤدّي إلى تعزيز مكانة السعودية في الاستراتيجية الأميركية في المنطقة، وفي الوقت ذاته إلى تقوية التعاون الأمني والعسكري بينها وبين إسرائيل ضمن اتفاقيات أمنية مباشرة أو برعاية من الولايات المتحدة، فذلك يعني بالضرورة أن كلا الطرفين سيكونان معنيّين، أكثر ممّا كانا في أيّ وقت مضى، بمنع تصاعد قوة «أنصار الله» والعمل على محاصرتها.

والواقع أن اليمن يشكّل عنواناً رئيساً على جدول المباحثات الثلاثية الهادفة إلى إنجاز التطبيع؛ إذ على رغم المساعدة الأميركية السخية للجانب السعودي في العمليات العسكرية في اليمن، إلّا أنه في اعتقاد القيادة السعودية، فإن المساهمة الأميركية لم تكن بما يكفي لحسم الحرب لصالح الرياض، لا بل ثمّة قناعة لدى الأخيرة بأن الإدارات الأميركية الثلاث الأخيرة (بارك أوباما، ودونالد ترامب، وجو بايدن) مارست الابتزاز السياسي والمالي للسعوديين في المجالات كافة، سواءً عبر عقود بيع الخدمات الاستخباراتية والفنية وصور الأقمار الاصطناعية والخبرات وتقديم الاستشارات وصفقات السلاح والذخيرة، أو بترك المجال الجوّي السعودي من دون غطاء لأهداف تخدم المصالح الأميركية، بما فيها التحكّم بأسعار النفط بعيداً من نتائج الحرب وتداعياتها على الجانب السعودي.

ومن هنا، وبعدما بدأت إدارة بايدن تستشعر أهمّية استرضاء السعودية لإتمام صفقة التطبيع مع إسرائيل، أخذت النقاشات بين المسؤولين السعوديين والوفود الأميركية التي تزور الرياض شهرياً تكتسب طابعاً مغايراً للجولات السابقة، مدرجةً المسألة اليمنية على رأس جدول اهتماماتها. وفي هذا الإطار، زار وفد أميركي ضمّ مبعوث الإدارة الأميركية للشرق الأوسط، بريت ماكغورك، ومساعدة وزير الخارجية، باربرا ليف، الشهر الماضي، المملكة التي كان يزورها أيضاً آنذاك المبعوث الأميركي الخاص إلى اليمن، تيم ليندركينغ، إذ بحثوا مجموعة واسعة من القضايا الإقليمية، أبرزها تطبيع العلاقات مع إسرائيل والحرب في اليمن. ويرى مراقبون أن واشنطن إنّما تحاول الربط بين الملفّين، وعرضهما كحزمة واحدة على الرياض، بهدف ابتزاز الأخيرة التي تشكّل الحرب عبئاً عليها وتريد إنهاءها بأقلّ الخسائر الممكنة. ويرجّح المراقبون أن تنجح الإدارة الأميركية في مسعاها هذا، من منطلق أن للسعودية مصلحة في الخروج من اليمن، والتخلّص من العبء الثقيل السياسي والمالي والأمني الذي ترتّب على عدوانها عليه.

لا يعني ما تقدّم، أن التطبيع السعودي - الإسرائيلي سيؤدّي إلى عودة الحرب في اليمن بشكلها السابق، غير أن أطراف «تحالف الحرب» ورعاته الغربيين ومعهم تل أبيب، سيسعون في المستقبل، ما استطاعوا، إلى حصر حركة «أنصار الله» في الشمال اليمني، وحرمانها من الاستفادة من شواطئ البحر الأحمر وبحر العرب، وبالتالي منع تفعيل الإمكانات التي تمتلكها قواتها. والواقع أن العمل جارٍ منذ فترة ليست بالقصيرة على ذلك، حيث بدأت إسرائيل، منذ ما قبل الحديث عن التطبيع الكامل والعلني، إرساء سلسلة من الترتيبات الأمنية والعسكرية المباشرة مع السعودية، فضلاً عن تفعيلها تحالفها مع الإمارات التي تسيطر على مناطق وجزر يمنية مهمّة، من أجل ضمان استخدامها الآمن لمضيق باب المندب، بل والتحكّم به. وتؤكد مصادر استخباراتية في صنعاء، في هذا المجال، التواجد الإسرائيلي في جزيرة ميون في قلب باب المندب، وحصول زيارات متكرّرة لوفود أمنية إسرائيلية مع ضباط إماراتيين إلى مدينة المخا على ساحل البحر الأحمر. وفي حال اكتملت عملية التطبيع، فإن الرياض وتل أبيب ستجدان نفسيهما في قلب معادلة أمنية مشتركة في البحر الأحمر (الأهداف نفسها والعدو عينه)، بالتعاون مع واشنطن

> يمكن لصنعاء أن تحوّل تهديد التطبيع إلى فرصة، وخاصة إذا أسفر عن نشوء تماس مع العدو الإسرائيلي

المتواجدة هناك منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

على أن أكثر ما يجب أن يُقلق الجانبَين، هو احتمال أن يتمكّن الجانب اليمني من تحويل تهديد التطبيع إلى فرصة، والاستفادة من جوانبه الأمنية والعسكرية لتشكيل الظروف المثالية التي تطمح صنعاء إلى توليدها، من أجل تفعيل عدائها المتقادم للكيان الإسرائيلي. إذ سيتيح نشوء خطّ تماس مباشر مع العدو، الانتقال من حالة العداء السياسي والمعنوي التي يعبّر عنها القادة اليمنيون في مختلف المناسبات الدينية والسياسية، إلى حالة استخدام القوة وتثبيت معادلات الردع على كامل الخريطة الجيوسياسية، من البحر الأحمر إلى المواقع الحيوية لدول التطبيع (إسرائيل والسعودية والإمارات).

يمنيون يحيون ذكرى المولد النبوي في صنعاء في أيلول الماضي (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4424

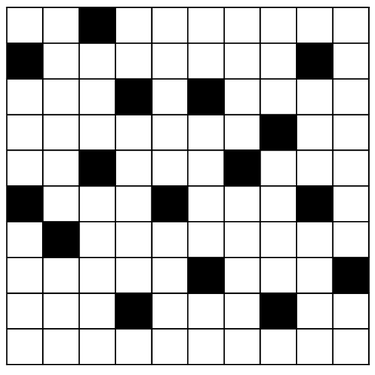

أفقيا

1- موسيقى فلسطيني – من الطيور – 2- ماركة سيارات – 3- عاصمة أوروبية – نزع الريش – 4- يبس ونشف – علم الحساب – 5- مسكن – أزال الأثر – مرض – 6- مرض صدري – جمال – 7- مدينة سياحية في مصر – 8- اشتم – أحرف متشابهة – 9- حرف تحقيق – عسل – من عوامل الطبيعة في الشتاء – 10- ممثلة نمساوية راحلة

عمودياً

1- رئيس أميركي راحل – برد – 2- مخلص – ماركة ساعات – 3- وجع – من الحبوب – 4- بلدان – شخصية في الرسوم المتحركة – 5- من الأقارب – يدفع المال لبدء مشروع – فرْق الماء – 6- سلسلة جبال في روسيا بين أوروبا وآسيا – يلمع بالأجنبية – 7- شدّ والصق بالشخص – ذبائح – 8- عائلة أديب لبناني من طرابلس – صفة للمركب أو القطار القديم يعمل على الفحم الحجري – 9- بلدة لبنانية في قضاء جبيل – أحسب – 10- لوى الحبل – قويّ وجبار

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- مالك الحزين – 2- حسون – بوردا – 3- متردّد – رع – 4- وقد – لما – دم – 5- دل – لولند – 6- سام – اج – أمل – 7- عليا – الشرخ – 8- دول – أنجو – 9- دمار – كم – أر – 10- أنغليكاني

عمودياً

1- محمود سعيد – 2- استقلال – ما – 3- لورد – ميدان – 4- كند – أورغ – 5- دلوا – 6- لب – ملجأ – كي – 7- حوران – لامك – 8- زرع – داشن – 9- يد – مرجان – 10- ناظم الخوري

sudoku 4424

8			9		7			3
	3			6			8	
7			1		3			4
		5	8		4	3		
	9			1			7	
4			6		9			2
9			2					5
	8		3				4	
3			7		8			1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4423

9	4	2	7	5	8	6	1	3
7	6	8	1	4	3	5	2	9
1	5	3	9	2	6	7	8	4
6	3	9	5	8	2	1	4	7
5	1	4	6	7	9	2	3	8
2	8	7	3	1	4	9	5	6
3	2	6	4	9	1	8	7	5
4	7	1	8	6	5	3	9	2
8	9	5	2	3	7	4	6	1

مشاهير 4424

لاعب كرة اندونيسي من أصول عربية. بدأ مشواره الكروي مع نادي أجاكس

4+9+5+6+3+2+7 = عاصمة اسكتلندا ■ 8+3+1 = أثاث البيت ■ 10+11 = بحر

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: هاينريش هرتز

على الغلاف

أصابع الاتهام تدلّ على واشنطن
دمشق تبدأ ردّها: آن أوان «استعادة» الشمال

علاء حلبي

بينما كانت السلطات السورية تستعدّ لتشييع ضحايا الهجوم بالطائرات المُسيّرة، والذي استهدف حفل تخريج دفعة من الكلية الحربية في حمص، وأودى بحياة 89 شخصاً وتسبّب بإصابة 277 آخرين، بينهم نساء وأطفال، شهدت سماء حمص هجوماً آخر بمُسيّرات حاولت استهداف المستشفى العسكري، قبل أن تتصدّى القوات السورية لهذا الهجوم وتفشله. وعلى إثر ذلك، انطلقت مراسم التشييع الرسمية من مستشفيات عدّة في حمص وحماة واللاذقية، مقرونةً بحداد وطني لمدّة ثلاثة أيام، وحالة صدمة في الشارع السوري الذي كان يعتقد أنه تجاوز هذا النوع من الهجمات منذ أعوام عديدة.

وجاء هجوم الأمس، وفق مصادر ميدانية، من غربي حمص، وحمل بصمات منفّذي الهجوم السابق نفسها، غير أنه تمّ التعامل معه بنجاح وإفشاله. وعلى أيّ حال، فإن ما حدث في اليومين الماضيين أكّد ما أعلنه «مركز المصالحة الروسي» في حميميم مراراً، على مدار الشهور الستة الماضية، من أن المسلّحين باتوا يمتلكون قدرات تكنولوجية حديثة تتعلّق بالطائرات المُسيّرة، في إشارة غير مباشرة إلى تلقّيهم دعماً من قوى دولية تملك هذه التكنولوجيا. وحتى قبل يومين من مجزرة الكلية الحربية، تحدّث نائب رئيس «المصالحة الروسي»، الأدميرال فاديم كوليت، في تصريحات، عن تلقّي معلومات عن استعدادات يجريها مسلّحو «الحزب الإسلامي التركستاني» و«أنصار التوحيد»، والذين ينشطون تحت عباءة «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة سابقاً) التي تسيطر على إدلب، شمال غربي البلاد، لشنّ هجمات بالطائرات المُسيّرة وأنظمة صواريخ متعدّدة بعيدة المدى، على قواعد روسية وسورية. وأتى هذا التصريح بالتوازي مع تصريحات أطلقها رئيس الاستخبارات الخارجية الروسي، سيرغي ناريشكين، عن أن الولايات المتحدة «تعدّ بمساعدة مسلّحين لتنفيذ هجمات إرهابية في سوريا في الأماكن العامة المزدحمة وضدّ المؤسسات الحكومية»، الأمر الذي أثار ربطاً بين نشاط الفصائل في إدلب، والنشاط المتزايد في البادية السورية الممتدّة إلى منطقة التنف، والتي تقع فيها القاعدة الأميركية الأكبر على الأراضي السورية.

> بدت لافتة حملة التشويش والتضليل المتعمّدة التي تقودها وسائل إعلام عديدة في محاولة لتبرئة الفصائل «الجهادية» من هذه المجزرة

على أن قائمة الهجمات على مواقع للجيش السوري تصدّرها، خلال الشهرين الماضيين، كلّ من: «أنصار التوحيد»، وهو فصيل يضمّ مقاتلين سابقين في تنظيم «القاعدة» تمّ تشكيله بعد حلّ فصيل «جند الأقصى»، وينشط على جبهات القتال في ريفي اللاذقية وإدلب، و«الحزب الإسلامي التركستاني»، الذي يضمّ مقاتلين إيغور وينشط أيضاً على جبهات القتال من ريف اللاذقية وصولاً إلى ريفي حماة وإدلب، و«داعش» الذي تنشط خلاياه في البادية، إلى جانب «هيئة تحرير الشام» (التي تقود أنصار التوحيد والتركستاني). وقوبلت هذه الهجمات بتنفيذ الجيش السوري سلسلة حملات عسكرية في البادية وعلى خطوط التماس في منطقة «خفض التصعيد»، تمّ خلالها استهداف مختلفة شمالي إدلب وجنوبيها، بالإضافة إلى مناطق انتشار المسلحين قرب سهل الغاب، وفي ريف اللاذقية، وفق مصادر ميدانية تحدّثت إلى «الأخبار»، مؤكدةً أن العملية «لا تزال مستمرة لتحقيق أهداف عديدة أبرزها إنهاء البنية التحتية للفصائل في إدلب». ولربّما تمثّل تلك الخطوة بوابة لشنّ عملية برية تستهدف المعقل الأبرز للفصائل «الجهادية» في سوريا، علماً أن تنفيذ العملية كان متوقعاً قبل بضعة أشهر، عندما نقل الجيش السوري تعزيزات عسكرية كبيرة إلى محاور القتال في ريف إدلب، قبل أن يعلّق نشاطه بالتوازي مع الدفع الروسي والإيراني نحو التطبيع بين دمشق وأنقرة. وكانت موسكو وطهران تأملان فتح الباب أمام إنهاء وجود «الجهاديين» من دون مواجهة منفردة، غير أن جهودهما قوبلت بمعوّقات عديدة أبرزها رفض أنقرة سحب قواتها غير الشرعية من سوريا، بالإضافة إلى عدم وفائها بتعهّدات عديدة سابقة تقضي بفتح طريق حلب – اللاذقية (M4).

انطلقت مراسم التشييع من مستشفيات عدّة في حمص وحماة واللاذقية (أ ف ب)

على الصعيد السياسي، بدت لافتة موجة التضامن في الأوساط العربية مع دمشق، والإدانات العديدة للهجوم الذي تعرّضت له الكلية الحربية في حمص، إذ دانت كلّ من لبنان وسلطنة عمان والإمارات ومصر والأردن والعراق وتونس والجزائر ودول أخرى، الهجوم، في وقت أعلنت فيه رئاسة الجمهورية تلقّي الرئيس السوري، بشار الأسد، برقيات تعزية من نظرائه الإيراني إبراهيم رئيسي، والروسي فلاديمير بوتين، والبيلاروسي الكسندر لوكاشينكو، ورئيس مجلس النواب اللبناني، نبيه بري. كما تلقّى وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، اتصال تعزية وتضامن من نظيره الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، فيما تلقّى وزير الدفاع السوري، العماد علي عباس، اتصالاً مماثلاً من نظيره الروسي، سيرغي شويغو. كذلك، صدرت إدانات عديدة أخرى من الهند وفنزويلا وعدد من الأحزاب العربية وحركات المقاومة وعلى رأسها «حزب الله» وحركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين، وغيرهما. كما دانت «جامعة الدول العربية» الهجوم، مشدّدةً على «ضرورة مواصلة جميع الجهود الهادفة إلى القضاء على الإرهاب بكل أشكاله»، فيما لم يصدر عن السعودية أي تعليق حتى مساء أمس.

أما الموقف الغربي، فلم يكن مفاجئاً، إذ جاء كعادته بعيداً من أيّ تضامن مع سوريا، مركّزاً بشكل أساسي على محاولة ضمان استمرار الأوضاع الحالية، الأمر الذي ظهر بوضوح على لسان المبعوث الأوروبي الخاص إلى سوريا، دان ستوينيسكو، الذي عبّر عن قلقه ممّا سماه «تصاعد العنف في سوريا». والموقف نفسه تبنّته المبعوثة الفرنسية إلى سوريا، بريجيت كرني، التي دعت إلى «وقف إطلاق النار»، قبل أن تجري اتصالاً هاتفياً بالشيخ حكمت الهجري، أحد أبرز الوجوه التي تقود تظاهرات السويداء، مؤكّدة دعمها لهذه التظاهرات، علماً أن ثمّة اتهامات لفرنسا بوقوفها وراء تزويد الفصائل «الجهادية» بالتقنيات اللازمة لتطوير الطائرات المُسيّرة، والتي تسبّبت بمجزرة حمص الأخيرة.

بدوره، استعار المبعوث الأممي إلى سوريا، غير بيدرسن، التصريحات التي كانت تطلقها الأمم المتحدة بداية الحرب السورية، معبّراً، في بيان، عن «قلقه البالغ إزاء تصاعد العنف في سوريا»، معتبراً أن «المشاهد المروّعة التي سُجّلت يوم الخميس في سوريا تظهر أن الوضع الراهن في البلد الذي مزّقته الحرب غير قابل للاستمرار». وياتي بيان بيدرسن بالتزامن مع تعثّر إعادة إحياء مسار «اللجنة الدستورية»، بعد أن غيّر المبعوث الأممي موقفه ورفض عقد الاجتماعات في سلطنة عمان، وأبدى إصراره على عقدها في جنيف السويسرية التي كانت السبب في تجميد هذا المسار، جرّاء تخلّيها عن حياديّتها في الحرب الروسية على أوكرانيا. وتجري محاولات عديدة لدراسة إمكانية عقد اللقاءات في عاصمة أخرى غير مسقط التي رفضها بيدرسن، وهي مداولات لا يبدو، وفق الظروف الحالية، أنها ستخرج بأيّ جديد.

وفي ظلّ التطوّرات الأخيرة، بدت لافتة، أيضاً، حملة التشويش والتضليل المتعمّدة التي تقودها وسائل إعلام عديدة في محاولة لتبرئة الفصائل «الجهادية» من هذه المجزرة، وتوجيه الاتهامات إلى أطراف عديدة أخرى بينها الحكومة السورية نفسها، في سيناريو عرفته سوريا بداية الحرب قبل أكثر من عقد، في وقت خرجت فيه «هيئة التنسيق الوطنية» (جزء من المعارضة السورية في الداخل) بموقف يمكن اعتباره الوحيد في الأوساط المعارضة الذي يدين هذا الهجوم. كذلك، دانت «الإدارة الذاتية» في مناطق سيطرة «قوات سوريا الديموقراطية» (قسد) التي يقودها «حزب الاتحاد الديموقراطي»، الذي تعتبره تركيا امتداداً لـ«حزب العمال الكردستاني»، الهجوم، متّهمة أنقرة، التي تشنّ في الوقت الحالي حملة عسكرية مكثّفة على مواقع سيطرتها، بالوقوف وراءه.

تونس

«النهضة» تطلق رصاصتها الأخيرة
«معركة جوع» حتى يلين سعيد

تونس ـ الأخبار

وصل المسار التصعيدي الذي تعتمده حركة «النهضة» وحلفاؤها في إطار «جبهة الخلاص»، إلى منعرج تأمل أن يكون حاسماً في مواجهتها المستمرّة مع الرئيس قيس سعيد، الذي اعتمد حيالها سياسة الإنهاك عبر الإيقافات والإبداع في السجون، على خلفية ما يُعرف بقضية «التآمر على أمن الدولة». وأعلنت «النهضة»، في ندوة صحافية أخيراً، تنفيذ قياداتها إضراباً عن الطعام واعتصاماً مفتوحاً للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وذلك بعد مضي عشرة أيام على دخول القيادي في «جبهة الخلاص»، جوهر بن مبارك، إضراباً مفتوحاً عن الطعام في إطار ما سمّاها «معركة الأمعاء الخاوية»، والتي التحق بها أيضاً كلّ من رئيس «النهضة»، راشد الغنوشي، والقيادي السابق فيها، عبد الحميد الجلاصي، والأمين العام لـ«الحزب الجمهوري»، عصام الشابي، والأمين العام السابق لـ«التيار الديموقراطي»، غازي الشواشي.

وشاركت عائلات المعتقلين السياسيين في الإضراب والاعتصام المفتوح، ناشرةً رسالة بعث بها أبناؤها من السجن، وفيها يؤكدون أن الإضراب سيتواصل إلى غاية إصدار قرارات الإفراج عنهم، إلى جانب المزيد من الإضرابات والتحرّكات المحلية، وقبيل سنة من إجراء الانتخابات الرئاسية، على أن يرفع تحرّكها سعيد على فتح قنوات تفاوض معها؛ على اعتبار أنه لا يمكن لنظامه تحمّل تبعات إضراب شخصيات سياسية بلغت من السنّ عتياً على غرار الغنوشي أو نائب رئيس «النهضة»، علي العريض، أو غيرهما، أو أن يسمح بأن يكون للحركة «شهداء» في عهده تبني بهم سردية نضالية جديدة شبيهة بتلك التي اكتسبت بها البرلمان في انتخابات عام 2011 وما تلاه. وفي مقدّمة النقاط المطروحة للتفاوض، إذا ما استجاب الرئيس لدعوات الحوار منعاً لنتائج وخيمة لإضراب الجوع، إطلاق سراح الموقوفين السياسيين، وإرجاء الانتخابات المحلية، والتفاوض حول ترتيبات الانتخابات الرئاسية المقبلة. إلّا أن سعيد لا يبدو، بعد قرابة الأسبوعين من دخول ابن مبارك والغنوشي وغيرهما في الإضراب، وانطلاق التحرّكات الاحتجاجية الضاغطة من قبل عائلاتهم، على استعداد للتفاوض، إذ أظهر، كعادته، تجاهلاً لما يجري، لا بل عمد إلى محاولة حرف الأنظار عبر اعتقال رئيسة «الحزب الدستوري»، عبير موسي، التي استأثرت باهتمام الرأي العام، فيما تؤكد «الخلاص» أنها لم تتلقَّ حتى اللحظة أيّ ردّ من السلطة على مبادرتها.

وقفة احتجاجية لأنصار جبهة «الخلاص» أمام المحكمة العسكرية (أ ف ب)

«سوريا الدولة» بعد ستّة عقود: نهاية صلاحية «الدور الأبوي»

أكثر من ستّة عقود مضت على تصدّي الدولة السورية للقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية وفكرية متعدّدة، نجحت في بعضها وتعثّرت في أخرى. إلّا أنها اليوم، وبعد مرور كلّ تلك السنوات، وما خسرته من موارد وإمكانات، باتت تجد نفسها في مواجهة خيارَين لا ثالث لهما: إمّا إعادة تحديث أدوارها من دون التخلّي عن مسؤولياتها الاجتماعية، أو انتظار مزيد من التدهور

زياد غصن

في تعاطيها مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة اليوم، لا تخرج معظم الإجراءات المتّخذة من قِبَل الحكومة السورية عن كونها «ردّات فعل»، هدفها ضبط هذا التدهور أو الحدّ من خسائره فقط، وهو ما يفسّره كثيرون بضعف أداء الفريق الحكومي، وعدم قدرته على اجتراح حلول مبتكرة أو غير تقليدية. لكن في المقابل، ثمّة مَن يعتقد أن ما تعانيه البلاد حالياً لا يمكن مواجهته، بعيداً من طريقة «ردّات الفعل»، بالسياسات والإجراءات نفسها والمتّبعة منذ عقود حوالي عقدين أو ثلاثة. ولا سيما في ما يتعلّق بدور الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ذلك أن البيئة العامّة، من حيث الإمكانات والموارد وأهلية مؤسّسات الدولة، اختلفت تماماً عن السابق. كما أن الظروف الإقليمية والدولية تغيّرت هي الأخرى؛ ففي الماضي، فرضت التجربة الاشتراكية نفسها على البلاد كمنطلق أيديولوجي للتموضع السياسي، وأما اليوم، فإن الهدف الأساس هو منع انهيار البلاد اقتصادياً. وعلى رغم أن العقود الثلاثة الماضية شهدت إدخال بعض التعديلات على دور الدولة في إطار موجات الإصلاح والانفتاح، إلّا أنها لم تصل إلى مرحلة إعادة هيكلة الدور المذكور وعصرنته كاملاً، في ما يمكن عزوه إمّا إلى الفشل المؤسّساتي في استشراف ما قد ينجم عن استمرار الدولة في ممارسة مهامها التقليدية من مشكلات وصعوبات، أو الخوف من تبعات السير في عملية إعادة هيكلة تلك المهام، لجهة موقف الأحزاب والقوى السياسية والاجتماعية والمدنية، المتخوّفة من أن تؤدّي هذه العملية إلى انسحاب الدولة من الحياة العامة.

إعادة هيكلة شاملة

غالباً ما يُختصر الحديث عن دور الدولة في سوريا بالجانب الاقتصادي فقط، فيما عملياً هذا الدور امتدّ ليشمل على مدار العقود الستّة الماضية مختلف نواحي الحياة اليومية، وذلك في إطار ما عُرف بمصطلح «الدولة الأبوية». وقد أسهم الدور المذكور، لسنوات عدّة، في توفير الخدمات شبه المجانية لعموم المواطنين، وتوفير الحدّ الأدنى من احتياجات الطبقات الفقيرة وصاحبة الدخل المحدود، فضلاً عن دعم الأنشطة الاجتماعية والثقافية، التي وإن كانت «مؤدلجة»، إلّا أنها وفّرت مناخاً ساعد بشكل ما شريحة اجتماعية واسعة على العمل وتحقيق مصالحها. وفي السياق، يعتبر الأستاذ في كلية الاقتصاد في جامعة دمشق، عابد فضلية، أن «الدور الاقتصادي للدولة السورية ذو طبيعة متميّزة تختلف عن الدور السائد في معظم دول العالم، ولنتذكّر ابتداءً مصطلح "الطريق الثالث" إلى الاشتراكية" لتوصيف النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سوريا»، مضيفاً أن «دور الدولة لدينا تُراوح ما بين "الدولة المتدخّلة" إيجاباً لصالح الشرائح الضعيفة والكادحة وذوي الدخل المحدود، وبين "الدولة الراعية"، والدولة "ذات الاقتصاد الحر المقيّد"». وبلغت فضلية، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن هذا الدور «تغيّر وأو اعتدل سابقاً بين فترة تنموية وأخرى بحسب الظروف المحيطة وتحدّيات الواقع، كما هو الأمر منذ بداية عام 2012 وحتى تاريخه، حيث ارتبط بما تقتضيه ظروف وضغوط الواقع القاسية الداخلية والخارجية من جهة؛ وإمكانات الدولة المادية وقدرتها على التدخل الإيجابي والدعم الاجتماعي من جهة أخرى».

> ثمّة اتفاق على أن المرحلة الحالية تمثّل التوقيت المناسب لطرح فكرة إعادة هيكلة دور الدولة على النقاش العام

بناءً عليه، يتمحور جزء كبير من النقاش الدائر حالياً حول الأدوار الجديدة المطلوب من الدولة النهوض بها، سواءً على الصعيد الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو حتى الثقافي، وفقاً للإمكانات والموارد المتاحة، وللأهداف المراد تحقيقها. وفي هذا المجال، يعتقد الأستاذ في كلية الاقتصاد في جامعة دمشق، غسان إبراهيم، أن «المطلوب اليوم، وقبل الغد، العمل على إعادة هيكلة دور الدولة، لا بل إن هذا الأمر كان يجب أن يحدث قبل سنوات. وهذه الهيكلة تحدث فقط من خلال تطبيق القوانين والتشريعات والأنظمة، فمفهوم الدولة اليوم ليس أكثر من قيامها بالإدارة والتخطيط والتنظيم، بمعنى آخر ألّا تحلّ الدولة بأيّ شكل من الأشكال محلّ الأفراد أو تُزاحمهم في ما يتعلّق بالأنشطة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية». ويوضح إبراهيم، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «تدخّل الدولة في الاقتصاد لا يتمّ من خلال ملكيتها للمشاريع والمنشآت، وهو الشكل الفجّ والبدائي، وإنّما من خلال التشريعات والقوانين والأنظمة، وهو الشكل الراقي والعصري، بحيث يقتصر حضورها أو تدخّلها المباشر على بعض المحاصيل الاستراتيجية كالقمح مثلاً، والمشروعات الصناعية التي لها علاقة بالأمن الوطني. باختصار، على الدولة ألّا تكون ربّ عمل على غرار الأفراد». وفي الاتّجاه نفسه، يُعتبر الباحث الاقتصادي، زكي محشي، أن «دور الدولة الأساسي هو العمل على تهيئة الظروف المناسبة التي تعزّز من قدرة الأفراد على ممارسة دورهم الاقتصادي والاجتماعي والفكري بشكل فعّال ومنتج بخدم أهداف هؤلاء الأفراد، كما يخدم الصالح العام الذي يسعى لتحقيق الرفاه للجميع من دون استثناء. كما يجب على أجهزة الدولة العمل بشكل تدريجي، ووفق استراتيجية واضحة، على إعادة بناء "الثقة" بها بدلاً من هدر الموارد على تعزيز "هيبتها"؛ فالثقة وحدها هي التي تعيد إلى الدولة فعاليتها واستقرارها المستدام بعيداً عن الدور الأبوي الوصائي».

البنك الدعم الاجتماعي المطبقة منحازة إلى الأغنياء أكثر من خدمتها للفقراء (أ ف ب)

التوقيت المناسب

في كثير من اللجان التي شُكّلت لمناقشة اقتراحات الإصلاح الاقتصادي، لم يكن هناك خلاف على أن الدولة لم تُعد معنيّة بإنتاج سلع استهلاكية خفيفة، وأن سياسة التوظيف الاجتماعي كانت أحد أسباب تراجع إنتاجية المؤسّسات العامة، وأن آليات الدعم الاجتماعي المطبّقة منحازة إلى الأغنياء أكثر من خدمتها للفقراء وأصحاب الدخل المحدود. إنّما كلّ ذلك وغيره بقي محفوظاً ضمن تقارير ومذكّرات، وحتى عندما حاولت بعض الحكومات تغيير جانب من هذا الوضع، مُنيت بالفشل جرّاء عدم نضوج مشاريعها وضعف إجراءاتها وقواعد بياناتها، الأمر الذي خلق حالة من الهلع لدى المواطنين عند سماعهم بأيّ مشروع حكومي يستهدف تغيير الواقع الذي اعتادوا عليه طوال العقود السابقة. ويطرح ما تقدّم تساؤلات عن إمكانية نجاح عملية استبدال أو تطوير الدولة لأدوارها في هذه المرحلة؛ فمن جهة، وصلت الأوضاع المعيشية والاجتماعية إلى حافّة خطرة، ومن جهة ثانية، فإن ظروف الحرب، التي فاقمت من المشكلة، قد لا تتيح إنجاز المطلوب وفق ما هو مخطّط له.

على أيّ حال، ثمّة اتفاق على أن المرحلة الحالية تمثّل التوقيت المناسب لطرح فكرة إعادة هيكلة دور الدولة على النقاش العام، وصولاً إلى سيناريوات تحقّق المصلحة الوطنية. وفي هذا الإطار، يرى محشي أنه «على الرغم من التدهور الرهيب على الأصعدة كافة في سوريا، فإن الوقت الحالي هو المناسب لمناقشة مفهوم الدولة ودورها، شريطة أن تمتلك المؤسّسات الحالية الرغبة في التغيير وأن تشارك في هذه المناقشة من دون أن تقوم بالتوجيه أو الوصاية». ويستعين إبراهيم، بدوره، بالمثل الصيني القائل: «إذا وقعتَ في أزمة فإنه يمكنك أن تحوّلها إلى فرصة»، ليؤكد أن «اليوم هو التوقيت المناسب لكي تستكشف طاقات الأفراد والشركات من جميع القطاعات، وكيفية استثمارها لمعالجة الأزمة الاقتصادية وتداعياتها الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية». وفي الاتجاه نفسه، يعتبر فضلية أن «الرؤية الممكنة والأكثر واقعية وموضوعية تنطلخّص في ألّا تتخلّى الدولة عن دورها الاقتصادي، الاجتماعي، المعيشي، الرقابي، الرعائي، الأبوي، وذلك بناءً على متطلّبات واقعنا الاستثنائي الصعب، لكن بعيداً من النمطية في التفكير والتشريع واتّخاذ القرارات ووضع التعليمات، وبعيداً من بيروقراطية العقل الوظيفي الإجرائي، وإنّما بناءً على رؤى واستراتيجيات وخطط حكومية كلية شاملة، مترابطة، منسجمة قابلة للتحقيق».

الحدث

قمّة كئيبة في غرناطة

الانقسام والقلق يظلّلان الأوروبيّين

بينما استخدم زعماء 47 دولة من أوروبا ومحيطها قمّة لهم عُقدت في غرناطة الإسبانية أوّل من أمس، للتأكيد أنهم ما زالوا يدعمون النظام الأوكراني في حربه مع روسيا، لم تخفِ الأجواء الفخمة لقصر الحمراء والصور الجماعية والتحيّات المتبادلة بين الزعماء، الصدع الذي بدا يكبر بين القوى الأوروبيّة تجاه الحرب، ومترتّباتها على الأمن والاقتصاد في القارّة العجوز. وشكّل هذا الواقع موضع نقاشات بين زعماء الاتحاد الأوروبي الـ27، في قمّتهم التشاوريّة التي عُقدت أمس، تحضيراً للاجتماعهم الرسمي القادم نهاية الشهر الجاري في بروكسل

لندن ـ **سعيد محمد**

عقد التجمّع المعروف بـ«المجموعة السياسية الأوروبيّة» قمّة - هي الثالثة له - في مدينة غرناطة (جنوب إسبانيا) يوم الخميس، شارك فيها زعماء 47 دولة بما فيها دول الاتحاد الأوروبي، والدول الطامحة أو المرشّحة لعضويته، وعدد من الدول التي لها ترتيبات خاصة معه. وبعد انفضاض القمّة، بقي زعماء دول الاتحاد الـ27 في المدينة الإسبانية العريقة التي بناها العرب الأمويون، لليوم التالي (أمس الجمعة)، ليشاركوا في قمّة غير رسمية هناك. وهدفت هاتان القمّتان إلى توفير منصّات للتشاور بين القوى الأوروبية وجوارها بشأن مختلف القضايا التي تؤرّق صانع القرار الأوروبي، من الحرب في أوكرانيا، إلى الأوضاع الأمنية المتأزّمة في الجوار الأوروبي (أرمينيا – أذربيجان، وصربيا – كوسوفو...)، ومن خطط توسّع عضوية الاتحاد الأوروبي إلى الهجرة واللاجئين، بالإضافة إلى بعض المسائل التقنية الأخرى ذات الاهتمام المشترك، وذلك تحضيراً للاجتماع الرسمي للاتحاد المزمع عقده في بروكسل نهاية الشهر الحالي.

وحاول الفرقاء الأوروبيّون الظهور موحّدين في غرناطة، من خلال تأكيدهم تماسك جدار دعمهم للنظام في كييف، في وقت بدأت فيه الإشارات تتزايد حول ظهور تصدّعات في هذا الجدار، ولا سيّما بعدما فاز تيار مؤيّد لروسيا في الانتخابات الأخيرة في سلوفاكيا، وأيضاً في ظلّ احتدام الصراع السياسي في واشنطن عشيّة السنة الانتخابية، على نحو أعاق تمرير مزيد من رزم المساعدات المالية الأميركية السخية إلى أوكرانيا.

ونُقل عن الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، قوله في القمّة إن الرئيس الأميركي، جو بايدن، طمأن الجميع هذا الأسبوع حول التزام لا يتزعزع في واشنطن نحو كييف، إلا أن

> **الحرب في أوكرانيا، على مركزيتها بالنسبة إلى الأوروبيين، ليست الصراع الوحيد الذي يهدّد أمن «الحديقة الأوروبيّة»**

«الأمر في المحصّلة النهائيّة يعني العسكرية للجيش الأوكراني خلال موسم الشتاء القادم، بما في ذلك أنظمة الدفاع الجوي وقذائف المدفعية والصواريخ البعيدة المدى والطائرات من دون طيار، مؤكّداً لهم أن «النصر أو الهزيمة في أوكرانيا سيحدّدان مصير أوروبا كلّها».

على أن أصداء الخطابات الرنّانة في الأجواء الفخمة لقصر الحمراء، كما الصور الجماعية، والمصافحات المتبادلة بين الزعماء، لم تخفِ صدعاً ما لبث أن يتّسع بين القوى الأوروبية تجاه الحرب، ومترتّباتها على الأمن والاقتصاد في القارّة العجوز، ولا سيّما مع الفشل الذريع للهجوم الأوكراني المضادّ، وتزايد الأسئلة حول استمرار التزام الولايات المتحدة بالقضية الأوكرانية بعدما أرسل الكونغرس المنقسم، خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي، تشريعاً عاجلاً إلى بايدن، سمح بتمويل مؤقّت للحكومة الفيدرالية، لكنّه أهمل طلب البيت الأبيض مليارات الدولارات المخصّصة لدعم المجهود الحربي الأوكراني. ومن المعروف أن هنالك تياراً مهمّاً في الحزب الجمهوري يدفع في اتّجاه قطع الأموال عن كييف، فيما يخشى الزعماء الأوروبيون أن ينتقل البيت الأبيض إلى عهدة رئيس جمهوري في الانتخابات الرئاسية القادمة. وظهر القلق جلياً على جوزيب بوريل، مسؤول الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي، عندما قال مخاطباً الزعماء المجتمعين: «بالتأكيد يمكننا أن نفعل المزيد (كأوروبيين) لدعم أوكرانيا. لكنّ الولايات المتحدة شيء

> **منذ بدء الهجوم الأذربيجاني الأخير على قره باغ، توالت الخطوات الأوروبية الداعمة لأرمينيا**

والتي يمكن أن تشكّل جرائم حرب». كما اتّهم باكو بأنها «أخلّت بتعهّداتها باحترام القانون الدولي، وهذا ما لا ينسجم مع أهداف السياسة الخارجية الأوروبية»، داعياً إلى «تقليل الاعتماد على الغاز الأذربيجاني، والوقف التامّ لواردات النفط والغاز من أذربيجان في حال اعتدت على أرمينيا».

أحرق باشينيان مراكب العلاقات مع روسيا، وأوعز إلى أركان حكومته بالسير قُدُماً نحو «حلفاء» جلّ ما يتطلّع إليه منهم، هو أن يساعدوه على حفظ ما تبقّى من كيان أرميني بحدوده الدولية المعروفة. وتسارعت، في الأيام القليلة الماضية، الخطوات الأرمينية التي تعكس قراراً نهائياً بقطع العلاقات التاريخية مع موسكو؛ ففي الثالث من الشهر الجاري، انعقد البرلمان الأرميني في يريفان، وأخذ قراراً بالموافقة على الانضمام إلى البروتوكول الخاص بـ«المحكمة الجنائية الدولية»، وذلك بغالبية ستين صوتاً، مقابل رفض 22 صوتاً فقط، هي العائدة إلى أحزاب المعارضة التي اعتبرت القرار مخالفاً للدستور الأرميني، وبما أن حكماً صادراً عن المحكمة في 17 آذار الماضي، باعتقال الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في حال تواجده في أيّ من الدول المنضمّة إلى البروتوكول المذكور، فإن قرار البرلمان، والذي سيصبح نافذاً بعد شهرين، يُعتبر معادياً لروسيا، وهو سيحول دون أيّ زيارة لبوتين إلى أرمينيا في المستقبل.

وبينما دافع باشينيان بأن تلك الخطوة ليست مُوجَّهة ضدّ روسيا، بل تأتي لحماية أرمينيا من جانب القانون الدولي في ظلّ الصراع الحادّ الذي تعيشه مع أذربيجان، فقد وصفها الناطق باسم الكرملين، ديمتري بيسكوف، بأنها «معادية إلى أقصى درجة». وكان بوتين عدّ، عبر حوار في منتدى فكري - سياسي انعقد في مدينة سوتشي، استعادة أذربيجان لقره باغ «أمراً طبيعياً»، معتبراً أن اعتراف يريفان بسيادة باكو على الإقليم بعد حرب عام 2020، «غيّر كلّ شيء»، مشيراً إلى أن «أرمينيا رفضت سابقاً العديد من المقترحات الروسية لتسوية الأوضاع؛ إذ اقترحنا قبل 15 عاماً إعطاء خمسة أقاليم من قره باغ لأذربيجان واثنين لأرمينيا، لكن الأخيرة رفضت». وأكد أنه «إذا أرادت يريفان مواصلة علاقة التحالف مع موسكو فإن روسيا مستعدّة لمواصلة مساعداتها لأرمن قره باغ»، لكن مع سيطرة أذربيجان الكاملة على قره باغ، بدأت قوات حفظ السلام الروسية تنسحب تدريجاً من المنطقة، فيما أعلنت وزارة الدفاع الروسية أن قواتها أخلت ثلاث مناطق هي: عسكران وأغديري وشوشه.

في هذا الوقت، تستمرّ أذربيجان في ملاحقة الرموز الأرمينية في «جمهورية ارتساخ» السابقة، حيث كان آخر المعتقلين وأهمّهم رئيس الدولة السابق، أرايق هاروتيونيان (50 عاماً)، الذي اعتُقل أثناء محاولته الانتقال من قره باغ إلى أرمينيا. وانتُخب هاروتيونيان رئيساً لـ«ارتساخ» عام 2020 عشيّة الحرب الكبرى مع أذربيجان، واستقال في 31 آب الماضي، وهو متّهم بأنه وراء إعطاء أمر خلال الحرب المشار إليها بقصف مدينة غنجه الأذربيجانية، ما تسبّب بسقوط عدد كبير من القتلى. وإلى جانب هاروتيونيان، اعتُقل أيضاً كلّ من وزير الدولة السابق روبن فارداniان، ووزير الدفاع السابق ليفون مناتساكانيان، ومساعد قائد الجيش الأول السابق دافيد مانوكيان، ووزير الخارجية السابق دافيد بابايان، ليصل عدد المعتقلين إلى الآن إلى ثمانية، وذلك من أصل قائمة أصدرها مدّعي عام أذربيجان، قمران عليييف، وتضمّ أسماء 300 شخص.

أصداء الخطابات الرنانة لم تُخفِ صدعاً ما لبث أن اتّسع بين القوى الأوروبية تجاه الحرب في أوكرانيا (أ ف ب)

قرص المواساة الأوروبية في النزاع الأذربيجاني - الأرميني تبدو ضئيلة (أ ف ب)

لا مكان لوساطة أوروبية في قره باغ
باشينيان يحرق الجسور مع روسيا

محمد نور الدين

اتّجهت الأنظار، الأربعاء الفائت، إلى اللقاء الذي كان سيُعقد في غرناطة جنوبي إسبانيا في اليوم التالي، قبل أن تأتي المفاجأة من أذربيجان بإعلانها أن رئيسها، إلهام علييف، لن يشارك في المؤتمر الخماسي الذي افترض أن يضمّه إلى رئيس وزراء أرمينيا، نيكول باشينيان، وكلّ من الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، والمستشار الألماني، أولاف شولتز، ومسؤول الاتحاد الأوروبي، شارل ميشال. وبرّرت المصادر الأذربيجانية مقاطعة باكو اللقاء بسببَين: أوّلهما، ما قالت إنه رفض برلين وباريس طلبها إشراك أنقرة في الاجتماع، وثانيهما، سياسة فرنسا الداعمة لأرمينيا، والتي تجلّت بعض معالمها في تصريحات وزير الدفاع الفرنسي، سيباستيان لوكورنو، وزيارة وزيرة الخارجية، كاترين كولونا، إلى يريفان، حيث أكدت أن بلادها ستقدّم كلّ أنواع الدعم العسكري للأخيرة. وأعلنت كولونا، عقب زيارة لها إلى العاصمة الأرمينية الثلاثاء الماضي، التقت خلالها نظيرها، أرارات ميرزويان، أنها وقّعت على اتفاقيات تزويد فرنسا، أرمينيا، بالسلاح «للدفاع عن نفسها». كما التقت المسؤولة الفرنسية، أيضاً، باشينيان الذي شكرها على الزيارة والدعم في مواجهة التطهير العرقي في قره باغ، فيما عدّت هي خطوتها واحداً من مظاهر المساندة الفرنسية لأرمينيا، مشيرةً إلى أن باريس خصّصت 12,5 مليون يورو للدعم الإنساني ليريفان. وتُضاف إلى ما تُقدّم، تصريحات ماكرون إلى محطّات فرنسية، والتي اعتبر فيها أن «أرمينيا مهدّدة من حكومتَي أذربيجان وتركيا التي تدعم دائماً مناورات باكو».

وعلى رغم إلغاء المؤتمر الخماسي، دعا رئيس المجلس الأوروبي، شارل ميشال، أذربيجان وأرمينيا إلى الموافقة المتبادلة على الاعتراف بسيادة كلّ منهما على كامل أراضيها، مدافعاً، في إجابته سؤالاً من صحافي تركي، بأن «التشكيك في حيادية الاتحاد الأوروبي ورغبته الآن في التوسّط في الأزمة في القوقاز لا معنى لها، لأن الاتحاد يريد الاستقرار في المنطقة». وكان باشينيان أوضح، بـ8600 كيلومتر هي مساحة الأولى؛ والثاني، ترسيم الحدود بين البلدين والتوصّل إلى اتفاق وفقاً للخرائط المتوفرة (اقترح باشينيان، في هذا الإطار، أن تكون خرائط عام 1975 هي الأساس للترسيم)؛ والثالث، فتح المواصلات في المنطقة على أساس سيادة الدول وسيادة القضاء والتشريع والمساواة في كلّ منها.

ومنذ بدء الهجوم الأذربيجاني الأخير على قره باغ، توالت الخطوات الأوروبية الداعمة لأرمينيا، ومن بينها مصادقة البرلمان الأوروبي على قرار يدين بشدّة «الاعتداء العسكري غير المحقّ» من قِبَل باكو على الإقليم، وذلك بغالبية ساحقة بلغت 491 صوتاً، مقابل اعتراض 9 أصوات فقط، وامتناع 36 آخرين عن التصويت. وعدّ القرار تهجير أكثر من مئة ألف أرميني من قره باغ بمثابة «تطهير عرقي»، مطالباً بـ«تشكيل لجنة تحقيق في ممارسات الجيش الأذربيجاني» خلال الحرب، ومترتّباتها على الأمن والاقتصاد في القارّة العجوز، ولا سيّما مع الفشل الذريع للهجوم الأوكراني المضادّ، وتزايد الأسئلة حول استمرار التزام الولايات المتحدة بالقضية الأوكرانية بعدما أرسل الكونغرس المنقسم، خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي، تشريعاً عاجلاً إلى بايدن، سمح بتمويل مؤقّت للحكومة الفيدرالية، لكنّه أهمل طلب البيت الأبيض مليارات الدولارات المخصّصة لدعم المجهود الحربي الأوكراني. ومن المعروف أن هنالك تياراً مهمّاً في الحزب الجمهوري يدفع في اتّجاه قطع الأموال عن كييف، فيما يخشى الزعماء الأوروبيون أن ينتقل البيت الأبيض إلى عهدة رئيس جمهوري في الانتخابات الرئاسية القادمة. وظهر القلق جلياً على جوزيب بوريل، مسؤول الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي، عندما قال مخاطباً الزعماء المجتمعين: «بالتأكيد يمكننا أن نفعل المزيد (كأوروبيين) لدعم أوكرانيا. لكنّ الولايات المتحدة شيء

> **منذ بدء الهجوم الأذربيجاني الأخير على قره باغ، توالت الخطوات الأوروبية الداعمة لأرمينيا**

عشيّة مغادرته إلى إسبانيا، أن لدى بلاده ثلاثة مجدّدات للتوصّل إلى سلام مع أذربيجان: الأوّل، اعتراف كلّ بلد بحدود البلد الآخر، أي أن تعترف أذربيجان بأن 29800 كيلومتر هي مساحة أرمينيا، وأن تقرّ الأخيرة

إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب نمر فايز زين الدين لموكله فادي فارس كبوره شهادة قيد بدل ضائع للعقار 231 عين جرفا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب عارف عبد الحسين حرب لموكلته هبه يوسف ضاهر شهادة قيد بدل ضائع في العقار 1456 مجدل سلم.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب عقيل محمد رمضان لموكله حسام فواز أبو ترابي وكيل عن مهدي علي سعسوع شهادة قيد بدل ضائع للعقار 3019 حاصبيا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

نعي

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق العميد ميشال الخوري
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الخميس الواقع فيه 5 تشرين الأول 2023.

وفيات

يقلوب مطمئنّة بقضاء الله وقدره تعالى، ننعى إليكم المرحوم:
الحاج أمين إبراهيم خيّاط
مؤسّس ورئيس نقابة المؤسسات السياحية في بيروت، مؤسّس ورئيس لمجلس قطاعات الإنتاج في لبنان، رئيس لجنة السياحة والبيئة في المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ممثل لبنان في الاتحاد العربي للسياحة والفنادق، مؤسس ورئيس جمعية آل خيّاط في لبنان
زوجته: أمل فندي فخر الدين.
أبناؤه: ربيع، ماهر، غادة وهالة
أشقاؤه: خليل، والمرحومان: محمد، علي وصبحي خيّاط
شقيقته: سعاد خيّاط نجم
صهره: مصطفى فواز
أشقاء زوجته: فيكتور، فادي، نوال الحاوي، والمرحومان: فؤاد وهيام عاصي. أحفاده: هاشم، طلال، آية رباط وعبد الله، جاد ونور فواز.
انتقل إلى رحمته تعالى أمس الجمعة في 6 تشرين الأول 2023. يصلّى على جثمانه الطاهر عند الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت 7 الجاري في روضة الشهيدين - الغبيري، ثم يوارى الثرى في مدافن الطيونة. تقبل التعازي قبل الدفن من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر في روضة الشهيدين، وفي منزل الفقيد الكائن في محلة الروشة - شارع أوستراليا، بناية المهدي، الطابق الثامن. تقبل التعازي يومَي الأحد والاثنين في 8 و9 الجاري في فندق رادیسون dunes، فردان من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساء. الأسفون: آل خيّاط، فخر الدين، عاصي، حاوي، رباط، فواز وأنسباؤهم.

البلاد

السديري في رام الله والمقاومون يجتمعون

النهج البديل لقطار التطبيع السعودي

وسام رفيدي

خبران صحافيان يعكسان نهجين مختلفين تماماً، يتموضع أحدهما، كخيار ومنهج، كبديل للثاني بخياره ومنهجه. فمن جهة يلتقي ممثلو حركات المقاومة الثلاث، الشعبية وحماس والجهاد، في بيروت على مستوى قيادي ليتمحور النقاش، كما أجمعت التصريحات والتحليلات، على بحث آليات التنسيق لتصعيد المقاومة في فلسطين المحتلة، دون إغفال أن حزب الله وإيران بطبيعة الحال على خط تلك اللقاءات والتنسيقات. والتطور الأهم بتقديرنا هو إعلان جميل مزهر نائب الأمين العام في مقابلة مع الميادين، أن التنسيق يبحث تشكيل (جبهة مقاومة موحّدة في الميدان)، كتطوير لحالة الوحدة القائمة ميدانياً بين المقاومين على اختلاف انتماءاتهم.

من جهة ثانية فمسار التطبيع السعودي الصهيوني يشقّ طريقه بشكل حثيث، وبتأكيد نتنياهو وابن سلمان ومسؤولي الخارجية الأميركية في تصريحاتهم، فيما، وكجزء من هذا المسار، يصل السديري إلى رام الله لافتتاح السفارة، ويُحتفى به كـ «محرر»، أما قرار فتح قنصلية سعودية في «القدس الشرقية»، فيُقدّم كقرار تاريخي يعادل قرار انطلاق الثورة! واسترسالاً للمسار التطبيعي ذاته، فقد وصل حاييم كاتس وزير السياحة الصهيوني إلى السعودية، فيما وزير الزراعة سيلحقه الأسبوع القادم، فهل يستغرب أحد صمت القبور الذي يتّسم به موقف قيادة سلطة أوسلو من هذا النشاط التطبيعي مع السعودية؟ الموقف العلني ضد التطبيع، الذي تعلنه السلطة بين حين وآخر، لا يبعث فقط على الاستهزاء من سلطة «التنسيق الأمني المقدّس»، بل يؤشر إلى المدى الاستفزازي الذي تتسم به السياسة الفلسطينية لقيادة «أوسلو». فالسديري يُحتفى به في رام الله، فيما وزراء الصهاينة يصلون إلى السعودية، ومع ذلك تُعلن السعودية باستفزازية أن لا تطبيع قبل حل القضية الفلسطينية، وتبلع قيادة «أوسلو» كل هذا إكراماً لخاطر ابن سلمان.

المسألة أكثر مما يشاع، فالصمت الفلسطيني يقابله إعادة صرف الـ 20 مليون دولار (المنحة السعودية سنوياً)، مع أنها تطالب بذلك، فمع أن السلطة لا ينقصها السلوك القزمي في السياسة، فمنذ انطلاق مشروع «أوسلو» وهي لا تملك سوى الاستعطاف وقزمية المطالب، وقد سبق أن تقزّمت مطالبها مقابل أقل بكثير من 20 مليوناً -لنتذكّر مثلاً الموافقة على عدم التصويت على تقرير غولدستون حول جرائم الحرب الصهيونية ضد قطاع غزة في عام 2008، مقابل وعد بتسهيلات تتعلق بشبكات الخلوي- إلا أنها، ومع انطلاق مشروع التطبيع العلني السعودي الصهيوني برعاية أميركية، تعوّل على إعادة التفاوض مع الصهاينة، هذا المطلب الذي وضعته قيادة «أوسلو» أمام السعوديين والأميركيين كما تناقلت الأنباء، إضافة إلى مطالب أخرى، كإخلاص لقزميتها، تتعلق بصرف المنحة السعودية أي الـ 20 مليون دولار، والإفراج عن الأموال المحتجزة لدى الصهاينة، وتحويل بعض الأراضي المصنّفة C إلى تصنيف B.

ماذا تملك سلطة أوسلو غير إدارة «مشروع» وظيفي لخدمة الصهاينة، مقابل امتيازات لمجاميع نخبوية سياسية واقتصادية تمتلك مفاتيح إدارة المشروع، فتتمتّع بامتيازاته؟ وبالتالي فهل تطلب غير العودة للتفاوض للإبقاء على وجودها؟ وما تطالب به سلطة أوسلو ليس هو الأهم على طاولة التفاوض السعودي الصهيوني وبإشراف أميركي، ليس الأهم بالنسبة إلى ابن سلمان ونتنياهو وبايدن.

فبالنسبة إلى ابن سلمان، الأهم حصول نظامه على موقع شبيه بموقع دول حلف الأطلسي عبر اتفاق أمني مع أميركا يتضمن حماية هذا النظام عند الضرورة، وكذلك موافقة السيد الأميركي الراعي، وبالتأكيد الصهيوني، على بناء مفاعل نووي سعودي للأغراض السلمية، أما بالنسبة إلى نتنياهو، وأمام وضعه الداخلي البائس، فالتطبيع مع السعودية ينعش من مكانته مقابل المعارضة الداخلية، ويفتح أبواب الاقتصاد الريعي الضخم أمام التغلغل الاستثماري الصهيوني، وأخيراً، فالعجوز بايدن الذي يواجه وعائلته اتهامات مالية من الجمهوريين ومحاولات قانونية لعزله، ومعركة رئاسية قادمة مفصلية، يهمّه تحقيق «مكسب ما»، يجرّ السعودية للتطبيع مع الكيان، ما يوفّر إمكانية لحشد اللوبي الصهيوني خلفه في انتخابات الرئاسة، فضلاً عن تعزيز النفوذ الأميركي الذي تزعزع في العقد الأخير في المنطقة لصالح النفوذ الصيني والروسي.

هما نهجان يتواجهان: مسار المقاومة والتنسيق لتصعيدها، وبحث تشكيل جبهة مقاومة موحّدة في الميدان، ومسار التطبيع السعودي الصهيوني على حساب القضية الوطنية بما يؤشر إلى «أوسلو» ثانية أو تجديد لصفقة القرن

أما سلطة أوسلو ومطالبها فلا أحد يعبأ بها، اللهم من زاوية إعطائها بعض الفتات، على سبيل تلميع الصفقة أمام الشعوب العربية والشعب الفلسطيني، لإدراك الأطراف الثلاثة، الأميركيين ونتنياهو وابن سلمان، لموقع القضية الفلسطينية في وجدان الشعوب. فأمام إنجاز التطبيع بمكاسبه السياسية والاقتصادية الإقليمية للصهاينة، فلا بأس ببضع مئات من ملايين الشواقل يُفرج عنها للسلطة، وبضعة دونمات يتم تحويلها من تصنيف C إلى تصنيف B، أما الـ 20 مليون دولار، المنحة السعودية، فمبلغ «فراطة» كهذا لا يستحق النقاش، فيما مطلب الاستجداء والاستعطاف بالعودة للتفاوض، فيصلح وصفه بالاستعانة بالمثل الشعبي: «موت يا حمار تيجيك العليق».

هما نهجان يتواجهان: مسار المقاومة والتنسيق لتصعيدها، وبحث تشكيل جبهة مقاومة موحّدة في الميدان، ومسار التطبيع السعودي الصهيوني على حساب القضية الوطنية بما يؤشر إلى «أوسلو» ثانية أو تجديد لصفقة القرن، وما الفرق بين الاثنتين أصلاً؟ أما عندما يعلن ابن سلمان أن لا تطبيع قبل حل القضية الوطنية وقيام دولة فلسطينية، فيمكن النظر إلى هذا التصريح بأنه أكثر من تصريح إعلامي لذرّ الرماد في العيون، وأكثر من مجرد تصريح يعكس السياسة الكاذبة والمخادعة، إنما هو طرح تساؤل حول ما يُطبخ سياسياً من حلول ما للقضية الفلسطينية، ربما كانت الكونفدرالية مع الأردن هي المرشّحة قبل غيرها كمدخل للتصفية.

هم يخطّطون نعم، والمقاومة ينبغي أن تخطّط أيضاً، لذا، فتفعيل التنسيق على مستوى فلسطيني وإقليمي هام جداً، كآلية ثابتة للعمل المشترك، وصولاً إلى جبهة مقاومة موحّدة في الميدان كخطوة ضرورية أيضاً، من دون أن نغفل ضرورة تمتين الجبهة الداخلية للمقاومة، خاصة في قطاع غزة، بوقف أيّ إجراءات قمعية سلطوية تستهدف حريات الناس ومؤسساتهم وفعّالياتهم الاجتماعية، ووقف سياسة الإقصاء والتفرد، وبغير ذلك تظل المخاطر منتصبة أمام العمل المقاوم المشترك وحاضنته الشعبية، والمفروض تعزيزها لا خلخلتها بإجراءات مختلفة.

هذا ليس تطبيعاً!

موسى جرادات

لعل المراقب اليوم لحركة العلاقات بين الدول العربية والاحتلال، يشاهد ويسمع ويقرأ الكثير من المعلومات التي تتحدث عن التطبيع، ما يثير الفضول في كثير من الأحوال، ويدفع إلى البحث أكثر عن معنى التطبيع الذي يروّج له في هذه المرحلة.

فما الذي نفهمه اليوم من الحديث عن التطبيع؟ ماذا يعني لنا هذا المصطلح، وما هي دلالاته ومضامينه الداخلية؟ هل يقودنا بصورة حتمية إلى المراد إيصاله مع هذا الكمّ الهائل من المعلومات التي تتحدث عن التطبيع القادم والزاحف علينا كأنه قدر لا يردّ، وهل حقيقة نضجت الظروف الموضوعية كي يتم هذا التطبيع، وبهذا الإخراج السيّئ؟

بعيداً عن المشاعر الآنية والفردية، وبقراءة عقلانية ومنطقية لمجريات هذا المسار وتداعياته، يمكننا اليوم أن نحكم على ما يجري في فضاء العلاقة بين النظم السياسية العربية ودولة الاحتلال، بأنه لا يتعدى حدود الهيمنة المطلقة لمصلحة دولة الاحتلال.

فالتطبيع الحقيقي بين الدول عادة، يقوم بالمبدأ على عودة العلاقات إلى طبيعتها كما كانت في سابق عهدها. وفي حالتنا العربية، لا يمكن الحديث عن هذا النوع من المسار، لأن شكل العلاقة التي قامت والتي في طريقها إلى أن تقوم، مبنية في جوهرها على أقصى درجات الهيمنة من قبل دولة الاحتلال على كل الفضاءات العربية. أما تزيين الحالة وربطها بمسمّيات أخرى، فهو على سبيل التخريجة غير المقنعة على الإطلاق.

والسؤال المهم الذي يطرح بجدية، يتعلق بالجدوى من إقامة علاقات مع دولة الاحتلال. هل فعلاً ستحصل الدول العربية التي طبّعت علناً على فوائد من هذه العلاقة التي كانت قديماً مستترة مع بعض الدول، وعاشت مراحل التأرجح، حتى وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، بإعلان الاعتراف الواضح بدولة الاحتلال بلا قيد أو شرط.

هذا الإعلان التطبيعي المتواصل، يبدو أنه قام على شروط أخرى غير تلك المعلنة، قد أمليت على السواد الأعظم في النظام الرسمي العربي، فالأمر مرتبط كما يبدو بتجديد شرعيات تلك الأنظمة. فبعدما فقدت شرعياتها الداخلية بفعل أحداث متواترة خلال العقد الأخير، تبحث هذه الأنظمة عن ثبات في وجودها وشرعنته من الغرب، بمقايضة مفضوحة وواضحة للجميع، وهي الاعتراف بدولة الاحتلال، التي من الواضح أنها مع الغرب الاستعماري التقطوا اللحظة التاريخية وبنوا عليها.

وبمراقبة بسيطة لتصريحات المسؤولين في الكيان، غير القابلة للتأويل، يُرى بوضوح أن قادة الاحتلال يدركون هذه المعادلة جيداً، فهم يؤكدون دوماً أن هذا الاعتراف غير مشروط، وليس مرتبطاً بملف العلاقة مع الفلسطينيين، فليسوا مضطرّين إلى تقديم بعض التنازلات، فكل ما في الأمر تحسين شروط الحياة في «السجن الإسرائيلي»، إذاً هي «مقايضة» من طرف واحد، الاحتلال لا يقدم فيها أي شيء.

فمنذ مدريد وحتى هذا الوقت، لم يخرج الخطاب السياسي للاحتلال قيد أنملة عما قاله شمعون بيريز في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» وعمّا قاله بنيامين نتنياهو في كتابه «مكان تحت الشمس» فالكتابان يلخصان بوضوح طبيعة العلاقة المطلوبة بين دولة الاحتلال والدول العربية، فوضعا الخطوط العامة، الأولى تظهر فيها دولة الاحتلال عملاق التكنولوجيا والتقدم في المقدمة، في مقابل مال نفطي عربي لا يجد طريقه إلى الإنتاج والسوق، مال بحاجة إلى العقل الإسرائيلي الذي يعرف كيف يوظفه ويرعاه، وعلاقة ممرها الإجباري تل أبيب وحيفا، إضافة إلى ذلك توظيف الأيديولوجيا الدينية التي دمرت الحواضر العربية في العقدين السابقين لمصلحة تجديد العلاقة مع «أبناء العم». بمعنى أوضح، محاولة إظهار الحب لـ«السلام» والعلاقة الطيبة مع المحيط العربي، هي الستار لعملية توسع ناعمة، تقوم على السيطرة من جانب الاحتلال، والإذعان من جانب العرب.

الغريب في أمر النظم الرسمية العربية التي مضت قاطرتها نحو التطبيع، وتلك التي في طريقها، أنها غالباً ما تبرر تطبيعها مع الاحتلال بأنه جزء مهم هدفه الأول خدمة القضية الفلسطينية، ولهذا قدمت كل هذه التنازلات وفق تبريراتها، علماً بأنه كلما زادت الدول المطبعة في عددها وكثافة تطبيعها، كلما زاد العنف الممنهج للاحتلال ضد الأرض والإنسان والمقدّسات الفلسطينية التي هي أيضاً مقدسات عربية ودينية إسلامية ومسيحية. وكلما مدّت يد المصافحة العربية للاحتلال، ظهر يمين صهيوني يلعن اليمين الذي سبقه ويتهمه بالتنازل، في مشهد هزلي، لا تستطيع فيه كل الدول المطبعة وكل أدواتها ونخبها أن تغطيه أو تحجب حقيقته عن الناس. فالاحتلال واضح وصريح وغير ملزم بتغيير لونه وشكله وحرفه، يمضي نحو فريسته واحدة تلو الأخرى، يلتهمها بلا تردد. فهو يدرك «حاجة» تلك الدول إليه، ويدرك أيضاً أن سرّ بقائه حتى هذا الوقت هو وجود تلك الأنظمة، فلا بأس من إقامة تلك العلاقة معها وفق منطوقه، فالتطبيع أصبح حاجة للنظم الرسمية العربية، ولهذا يظهر هذا الزحف نحو تل أبيب بوتيرة متسارعة.

أما الفلسطيني في أسر الاحتلال فما زال يراهن على أهله العرب، ويراهن أيضاً على انكشاف الغول الصهيوني بشكله الحقيقي عند إخوته وذويه، وهو يدرك أن منطق الحركة الصهيونية تم تأسيسه على رفض الانصهار في كل المجتمعات، منطق قائم على الإغلاق، فكيف سيبني علاقة مع الآخر وهو الذي لا يراهم سوى أنهم «الأغيار» بكل ما تحمله الكلمة من معنى عنصري وغير إنساني.

هذا الرهان ليس رهاناً عاطفياً، بل رهان فيه من رجاحة العقل ما يكفي، فـ«واحة الديموقراطية» في الشرق الأوسط كما تحب دولة الاحتلال أن تسمّي نفسها، تذهب بعيداً في أزمتها السياسية، وتذهب بعيداً في أزماتها الثقافية والطائفية وانقساماتها المجتمعية، ولن ينجيها تفوّقها العسكري من تلك الأزمات ولا حتى حضورها الفعلي في العواصم العربية قادر على جلب الاستقرار لها حتى في المدى المنظور.

وهذا التقدير لا ينبع من الأمنيات والأوهام، بقدر ما هو اتّكاء على أصل الحكاية وأصحابها الذين واجهوا طوال قرن من الزمن كل أشكال الإبادة والنفي والنكران، وحافظوا على هويتهم الوطنية من خطر الاندثار، وتحمّلوا عبء الحركة الصهيونية وكيانها، منهم يؤخذ المعنى وإليهم يردّ، فالتطبيع المقبول عندهم هو أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل النكبة من دون نقصان، هذا هو الفهم الحقيقي للتطبيع بالنسبة إليهم، ودون ذلك أضغاث أحلام.

فَخُّ الترجمة، ترجمةُ الفخّ!

وليد عبد الرحيم

في الأصل التاريخي، لا تعدو فكرة الترجمة كونها قفزاً فوق حاجز اللغة، أي ابتغاء التواصل والحوار بين المجموعات البشرية المختلفة النطق، وهو ما روّج فكرة ضرورة التلاقي مع الآخر صديقاً كان أم عدوّاً من خلال اللغة، فهمه أو دحض فهمه من قبل الآخر. وبما أنّ الصراع بين الأمم والقبائل في بعض أوجهه صراع ثقافة اعتقادية، تتجلّى وتنبت أساسياتها من حقول أخرى اقتصادية أو تنافسية أو ثأرية، تجلّى نهم الانتصار في إدراك ضرورية فهم الآخر- ليس بالضرورة تفهّمه- وكلما اتسع وتطوّر جهد الترجمة ازداد فعلاً وقراءةً فهم الآخر للآخَر.

في خصوص الصراع في فلسطين وعلى فلسطين، ثمّة تشابك فريد في التاريخ، لم يحدث سابقاً قط، فاللغة التي يتحدّث بها أقوام الاحتلال الواردة من كل حدب وصوب، تعلّمها وأعاد خلقها الطامحون للسلب والاستيطان، بناءً على مشروع متخلّف أساطيري استوجب الغوص في لغة فلسطينية قديمة، ثم تعليمها للأوروبيين بعد نبش مفرداتها ومعانيها من أدراج التاريخ المغلقة؛ فاللغة العبريّة ما هي إلا لهجة محلية للغة فلسطينيّة قديمة اندثرت بفعل تطوّر الزمن وعجزها عن مواكبة النسق الحضاري في المنطقة. وكان آباء الصهيونية الأوائل، يبحثون عن روابط تعزّز أوهام الأساطير الوثنية المتخيّلة بخصوص فلسطين كأرض مقدّسة تدعم جلب العميان إلى مكان مضيء مقدّس، لتبدأ الهيمنة الاستعمارية التي تحقّق الهيمنة الأوروبية على الشرق الأوسط بعد فشل ذريع سابق، وفي الوقت ذاته تخلّص أوروبا من مجموعة دينية كارهة ومكروهة، كانت العبريّة أوّل، وربما آخر، لغة تختارها مجموعة ما لتكون لغتها الخاصة، وهي لا تمتّ بصلة إلا لفلسطين القديمة، رابطين بذلك وجود نصوص التوراة التي كُتبت بعض نُسخها بهذه اللغة الفلسطينية المندثرة لتعزيز ارتباط الوهم الجغرافي. وكانت العبريّة قد انقرضت ليس بقرار اجتماعي أو حيوي، إنما بفعل تخلّفها آنذاك وعجزها عن مواكبة تطوّر الحضارة آنذاك أيضاً.

من أوائل كتب الثورة الفلسطينية بعد مقالات تحت عناوين مثل «اعرف عدوك» تجرّأ غسان كنفاني من خلال فكرته القائلة بكشف طبيعة ونوايا وتركيبة العدو إلى جانب معادلة أخرى كان تشع في المنطقة، وهي في غالب الأمر حُمَّى الترجمة الأدبية العالمية من مختلف اللغات إلى العربية، التي وصلت أوجها في القرن العشرين من خلال ترجمة كثيفة للأدب، كالرواية والشعر والمسرح ووو، وهكذا تعرّف العرب إلى وليم شكسبير وفيودور دوستويفسكي وبودلير وآرثر رامبو وإليوت والعشرات من مبدعي الشعوب الأخرى.

هل يريد كيان الزوال الحتمي كي يطيل عمر بقائه المؤقّت أن نترجم كتبه؟ الإجابة هي نعم.

هل نريد ترجمة كتبه النظرية والسياسية والأدبية؟ الإجابة نعم أيضاً.

ثمّة فارق بين المأربين، الكيان يريد أن نترجم له لتحقيق اختراقٍ ثقافي، الفلسطينيون والعرب عامة وأحرار الأرض يبتغون الهدف ذاته لفهم نوايا وخطط وحال وطبيعة المجتمعات التي استوطنت واحتلّت فلسطين، وكيف استطاعت بناء كل هذه القوّة المؤسّساتية الغاشمة لتحقيق ما أرادت، وكيف جلبت كل هذه التجمّعات وأسّست كياناً سياسياً هدم أوّل كيان اجتماعي مدني حضاري في تاريخ الإنسانية، بنى المدن وأسّس اللغات المحلية التي أسّست في ما بعد للّغة العربية المكتنزة بها بكل هذا الاتساع والزخم.

يقع تقييم ماهية وأهداف الترجمة في اتجاهين أساسيين؛ الأوّل التلاقي مع الآخر والتأثّر والتأثير به كما حلّ بين العرب ومختلف الأوروبيين وغيرهما، والثاني في فهم واقع الآخر/ العدو، وما بينهما جد خطير، بينهما مساحة دسّ كبيرة متنوّعة المداخل. كمثل على ذلك ترجمة لحظة إنسانية مجردة؛ كطفل يعاني من شلل ولادة، الطفل يهودي وُلد في مستوطنة في الجليل، أمّه تركت البيت وفرّت مع صديقها، وأبوه طيّار حربي غاب في مهمّة لقصف المقاومة في لبنان. جوهر ذلك هو عرض متاعب الطفل المسكين، وسرد تغليب فعل الأب في المؤسسة العسكرية لحماية مجتمع كامل من «الإرهاب»، هذه خلاصة نصّ نثري عُرض في منتصف الثمانينيات للترجمة إلى العربية على أحد الأسرى الفلسطينيين مقابل إغراء من الاستخبارات، يصل إلى إمكانية تخفيض حكمه أو حتى إطلاق سراحه!

هنا يصل الفخ أوج ذكائه؛ ترجمة آلام القاتل مشفوعة بلمسة إنسانية نحو طفل، تُكسِب تعاطف العالم مع المحتل الإرهابي، وتبرير جرائمه التي كان أوّلها بناء كيانه مع تنحية ذكر التدمير والمذابح. أمّا نحن كفلسطينيين وعرب لم نصل واحة الذكاء هذه إلا عبر جهود فردية لمبدعين وعبر تأسيس مراكز بحث ودراسات لمؤسّسات في منظمة التحرير وخارجها خاضت في الأمر بوعي عالٍ وما زالت، لكن من دون دعم كافٍ لها، فتعرّفنا على يهودا عميناحي ثم إيلان بابيه، وعشرات آخرين، والأمر مستمر لكنه ما زال ضعيفاً. كما أسهم مترجمون فلسطينيون وعرب بجهود فردية في ترجمة مختلف الكتب التي تعرّي الاحتلال وتجسّد الاعترافات، من خلال اعترافات مشاركين في الجرائم الإرهابية للكيان.

في السنوات الأخيرة، ظهرت مؤسّسات عدّة تحت مسمّيات وعناوين إنسانية، لترويج بهاء العنصرية وتبرير إرهاب الصهيونية واختراق المجتمع والفكر العربي عبر «الإبراهيمية» وبثّ المعلومات التبريرية الخفيّة للمذابح والإرهاب القديم والقائم يومياً. واليوم، تدأب أنظمة التطبيع و«الإبراهيمية» بكل وقاحة على العمل لإيقاع العرب في فخّ الترجمة المدروسة من العبريّة وغيرها، بهدف تجميل قباحات القتل في ذهن الضحية ذاتها، تقدّمت بذلك على جميع الأنظمة المتهوّدة التطبيعية، فبرعت في ذلك مشيخات العرب الحاكمة التي تهيمن عليها أجهزة «الموساد» وتسيّرها وتثبّت كراسيها. هذه المراكز متعدّدة الأسماء، مدعومة مالياً بصورة كبيرة من الحكّام، وتسعى إلى إيقاع المترجم والدارس العربي في فخّ أدوات ومسارات البحوث والترجمة، وكذا مختلف الآداب والفنون. هذا أحد أسرار منح الإقامة الذهبية لمترجمين وباحثين وفنّانين بقرار مباشر من قبل رئيس «الموساد»، هكذا يُبنى كيان ثقافي استيطاني موازٍ داخل العقل العربي، وهو ما يمكن وصفه نقديّاً بـ«فخّ الترجمة».

هل يريد كيان الزوال الحتمي كي يُطيل عمر بقائه المؤقّت أن نترجم كتبه؟ الإجابة هي نعم.

البلاد

أنا يستشهد فايز وأنا في السجن

أحمد مفيد

«خُيّل لي مصرعٌ أتاملقيه... منْ لحقه بي منكم استشهد ومن تخلّف لم يبلغ الفتح»

[الحسين بن علي]

أنا عبد العزيز خالد دمدوم من العيزرية التي تبعد دقائق عن المسجد الأقصى قبل بناء الجدار، ولدت في 2000/2/10. أنا شقيق الشهيد فايز خالد دمدوم وهو من مواليد 2005/7/15 وقد استشهد على أرض العيزرية في 2022/10/1. علاقتي المباشرة مع الاستعمار بدأت تناحرية، في طريقي إلى المدرسة في بلدة بيت حنينا في القدس، كنت يومياً أصطفّ على الحاجز الفاصل بين العيزرية والقدس حتى أستطيع الوصول إلى المدرسة. أمّا عن المشهد الأكثر حزناً ودموية فهو كان بعد انتفاضة عام 2015 في القدس، حين رأيت بأمّ عيني جنديّاً صهيونياً يعدم شاباً فلسطينياً دون أي مبرّر أو تهديد، وصدقاً لم يقم الشاب بعمل أي حركة تدل على شيء ولم يكن يحمل سكيناً، لكنّ هناك جنديا قرّر إنهاء حياة الشاب وإعدامه أمام الجميع!

سُجنت للمرة الأولى وأنا في عمر 16 عاماً، وكانت تجربة الأسر معقّدة وذلك لخصوصيتها عند الأشبال، إذ لا توجد تنظيمات، ولا اهتمام في الجوانب الثقافية والتعليمية داخل السجون، وهذا ما جعل أوّل تجربة فقيرة معرفياً، فلم أتثقّف بما فيه الكفاية، لكن لحسن الحظ، هناك من أرشدني إلى التعلّم عن طريق مطالعة أدب غسان كنفاني، وهذا كان كفيلاً بتجذيري معرفيّاً.

خرجت من السجن وكان عمري 17 عاماً، وفايز شقيقي كان في حينها 12 عاماً، وكنت أراه صغيراً. كان لديّ شعور بأنني كبرت من طفل إلى شاب داخل السجن، لذلك حين خرجت كان حضوري مع الأصدقاء، وفي الشارع، أكثر من وجودي مع الأسرة. بقيت خارج السجن لمدة سنة، وبعدها أعيد اعتقالي إدارياً لمدة 24 شهراً، ورغم غضبي من فكرة السجن الإداري غير المبرّر، كان من حسن حظي أنني تجاوزت الثامنة عشرة من عمري، لذلك سُجنت مع الكبار! وهناك رأيت أشكالاً وألواناً، رأيت جميع الدنيا! الكثير من الكتب والكثير من المناضلين والتجارب والخبرات والقدرة على التعلّم، والقصص المحزنة والفقد.

وفي يوم طبيعي خلال الإعوام الاعتقال الإسعاف ونقل فايز تحت أمر الجنود ضابط الإسعاف باللحاق بهم إلى مستوطنة «معاليه أدوميم»، وذلك لسرقة جثمان لهم. لكن عند مفترق الطريق، تمرّد ضابط الإسعاف واوصل فايز إلى طوارئ مستشفى المقاصد في بلدة أبوديس.

أفراد عائلتي في حينها كانوا في المنزل، علموا باقتحام قوات الاحتلال البلدة، لكنهم لم يعطوا الأمر اهتماماً، عادة يتّصلون بفايز، لكن لوجوده في العمل لم يقوموا بذلك. لم يمضِ كثير من الوقت حتى بدأت مجموعات «واتساب» تتحدّث عن وجود إصابة في بلدة العيزرية، فبدؤوا الاتصال به. وفي الأثناء، أتت اتصالات عديدة من شباب البلدة إلى عائلتي، وكان اصحابها كلهم يسألون عن فايز.

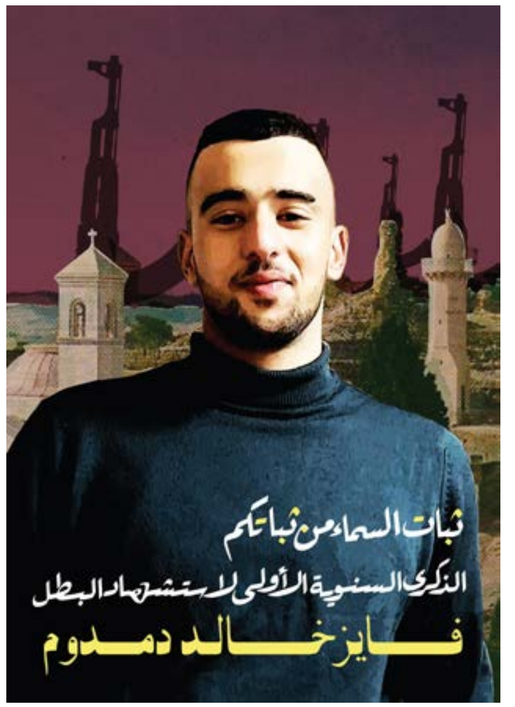

وهذا ما دفعهم للشعور بالقلق والخوف، فقرّروا الخروج من المنزل للبحث عنه، وإذ بعمّي شقيق والدي يتّصل بأبي ويساله: ماذا كان فايز يرتدي في الصباح؟ عند هذا السؤال

كان عشقه وروحه إبراهيم، كان حلمه أن يذهب إلى نابلس كي يرى قبر إبراهيم كما تقول والدته. وكلاهما كانا وفيّيْن لوصية الشهيد غسان كنفاني في الموت بين زخات الرصاص

تحوّل القلق إلى غضب وخوف وانفعال، لأن كل الأخبار تتحدّث عن أن المصاب قد استُشهد! تحرّكوا بسرعة إلى مستشفى المقاصد وعند وصولهم كان فايز، آخر العنقود، قد فارق الحياة!

«في إحدى المرات قام فايز بتهديد ضابط المنطقة فقال له الضابط: راح نشوفه مين راح يضحك بالآخر»

قبل أيّام من استشهاد شقيقي كنت أقول لمن معي في الزنزانة «في إشي صار، في إشي راح يصير»، وكنت كلما أستيقظ في الصباح، أتأكّد إذا حدث شيء في الخارج، وفي يوم الخميس كنا نلعب الورق، لا شيء على البال ولا شيء على الخاطر، سرحت وإذ بي أرى صورة أخي بالجاكيت الأصفر عند المسجد الأقصى، والجاكيت عليها دم! فزعت وخفت، وقلت لرفيقي ما شاهدت، قال لي: «لا يزلة توكل على الله فش إشي». أتى يوم السبت؛ عدد، فطور، جلسات ثقافية، وفورة، وعند العصر قررت أن آخذ قيلولة، وضعت رأسي على المخدّة وبعد وقت قصير سمعت صوتاً، والرفاق دخلوا إلى الزنزانة مجتمعين وقال لي أحدهم: «تعال بدنا نحكي معك» قلت انتظر، أريد أن أدخل إلى الحمام، دخلت وصرت أقول في ذهني «معقول صار هيك؟ عنجد يا الله صار هيك؟ 36 يوم ضايلي يا الله!» خرجت، جلس الجميع وحدّثوني عن طبيعة حياة النضال، وعن أهمية التضحية من أجل فلسطين، وأن ثمن الحرية أشكال متعددة من التضحية، ومن هذه المقدمات. فقلت «شو في؟» قال أحدهم: «الجيش اقتحم العيزرية وصار مواجهات». وقبل أن يكمل جملته قلت له: «وفايز استشهد؟»، انصدموا! قلت: «أحكي صح»، قال: «أه». وعندما سمعت هذه الكلمة لم أعد أرى أي شيء، ولم أعد أسمع أي شيء، شاشة سوداء معتمة وعدم إدراك، حتى صار أحد الرفاق ينخزني ويقول لي «اصحى مالك، اصحى صحصح». والحمد لله كان معي ناس، صدقاً، من أفضل الناس الذين عشت معهم في السجون، وكانوا بمثابة أهل. وفي حالة مثل هذه يقوم الأسرى بفتح القسم لمدة ثلاثة أيام، وكنت متأكداً من أنني سأخرج من الأسر، وأجد فايز ينتظرني مثل كل مرة أخرج فيها. ومع كل اقتراب من موعد الإفراج كنت ازداد خوفاً، وهذا ما دفعني للحديث مع أحد الأسرى، فقلت له أنا خائف من الخروج من السجن، أريد أن أخرج لكنني خائف. قبل استشهاد فايز بيومين، قامت قوات العدو الصهيوني، بعد مطاردة مضنية، باغتيال الطفل ريان سليمان في بلدة تقوع ببيت لحم.

خاتمة

«لن نقبل ان يكون ثار والدي اقل من تحرير فلسطين كاملة من نهرها الى بحرها وزوال هذا العدو المحتل. وقفوا للعدو انتم تتباهون بامير كاونحن نتباهى بديننا وسوف نعلّمكم درسا لن ترجعوا الى ارضنا ان شاء الله»

[نجله الشهيد خالد منصور]

عندما ننظر من أسطح منازلنا في بلدة العيزرية، إلى الأفق باتجاه الغرب، يمنعنا الجدار من الرؤية، أمّا من الشرق، فتمنعنا مستوطنة «معاليه أدوميم» من الحلم. وعلى تُرتجى ممّا كان يُدعى مسيرة أو عملية السلام، أو «حلّ الدولتين»، تتفاجأ تلك المراجعات بمَن أعاد اكتشاف أننا نعيش حالة «استعمارية» وأعاد تعريف الصهيونية و«إسرائيلها» بأنها حالة كولونيالية متناسلة من حقبة الاستعمارية المديدة. وفي مثل تلك المراجعات التي أعادت الاعتبار إلى مصطلح «استعمار»، لا يصعب على المدقق أن يُحصي في المقالة الواحدة ذات الصفحات العشر مثلاً، ورود مفردة «استعمار»، أو «كولونيالية»، وتصريفاتهما، من دون الضمائر المحلقة بهما، ستين أو سبعين مرة إن لم يكن أكثر؛ كأن تكرار المفردة يأتي في حد ذاته، تعبيراً عن حالة الاحتفاء بالاكتشاف الجديد وتأكيده وترسيخه.

وكان بين هؤلاء المراجعين مَن امتلك الشجاعة، وقاده هذا المنطق الذي أعاد تعريف الصهيونية بأنها حالة كولونيالية ذات شحنة عنصرية مقتلة، إلى خاتمة تسلسله السليم، وذلك بإعادة تعريف حالة المواجهة التي يفرضها الوجود الاستعماري الاستيطاني الإحلالي بأنها «حالة تحرر وطني». ويأتي هذا الاستنتاج كأنه رد على جميع النقاشات والمحاججات والأطروحات والتنظيرات التي بشّرت عند اتفاق «أوسلو» بأن «مرحلة التحرر الوطني» قد انتهت وطويت صفحتها، وأننا بصدد «مرحلة البناء الوطني»! في تلك الأونة، أصبح لدينا مؤسسات من نوع «جمعية المقاتلين القدامى» وشرع البعض يحدّثك عن تجاربه القديمة في العمل السرّي، كأنها صفحة انطوت وأن أوان البوح بأسرارها! وانتصب هناك من نعى على «التنظيمات» التي كانت مشتغلة بـ «التحرير» تقصيرها الفادح في قضايا المجتمع والبناء المجتمعي، بينما ذهب آخرون إلى تعريف مزدوج للمرحلة بأنها «مرحلة تحرر وبناء وطني» في الآن معاً، وأخذوا يحدثوننا عن نظريات في التنمية المستدامة أو نصف المستدامة، بعد أن طوى الحديث القديم عن اقتصاد الصمود!

لكن حتى هؤلاء الذين أوصلهم استنتاجهم المنطقي إلى إعادة الاعتبار، واعتماد أننا في «مرحلة تحرر وطني»، لم يصل بهم الأمر إلى الذهاب باستنتاجهم إلى منتهاه الطبيعي، وهو الخلوص إلى الدعوة إلى «تحرير فلسطين»، ولا سيما أن العديد من أصحاب هذه المراجعات مَن كان أسقط من حسابه هذا الخيار أو الهدف في العقود الماضية في إثر الوقوع تحت تأثير «التفكير الواقعي» الذي أنضجته الهزائم العسكرية، أو ربما تحت تأثير «القناعات الأيديولوجية» لدى البعض الآخر التي كانت نظّرت للتعايش والتصالح والسلام.

لقد كان «تحرير فلسطين» ولا شيء غيره، هو «الدين السياسي» الذي اعتنقه الفلسطينيون بعد سقوط البلاد في سنة 1948. وكان هو أبو الأهداف الوطنية العليا التي تتفرع عنه، وتقع دونه، أي أهداف أخرى. وعندما نشأت التنظيمات الفلسطينية منذ بواكيرها بين ظهراني الشعب الفلسطيني في أواخر خمسينيات القرن الماضي، حملت أسماؤها وبرامجها وأدبياتها هدف «التحرير»، ولا شيء غيره. فكان هناك جبهة «تحرير» فلسطين، كما أن حركة «فتح» لم تكن غير حركة «التحرر» الوطني، وعندما تأسست المنظمة لم تكن سوى منظمة «التحرير»، ولاحقاً ستأتي الجبهات: الشعبية، والديمقراطية، والعربية، والفلسطينية، والقيادة العامة، وليس لها من مهمّة إلّا «تحرير» فلسطين!

وعندما صاغ الفلسطينيون مواثيقهم وعهودهم الغليظة التي أقسموا عليها، والتي طالما وُصفت في حينه بأنها «إنجيل الثورة»، فإنها لم تكن سوى مواثيق تحرير، ولا شيء غيره! فـ «الميثاق القومي» الذي صيغ في أيام أحمد الشقيري، وردت فيه لفظة «تحرير» من دون كلمات: حرّ وحرية وأحرار، 22 مرة في 29 مادة. أمّا في «الميثاق الوطني» الذي جاء كتنقيح على سابقه «القومي»، وتطوير له، فوردت فيه هذه اللفظة 34 مرة في مواده الـ 34؛ ومن اللافت أنه لم يرد في الميثاقَين أي ذكر أو حتى مجرد إشارة إلى موضوع «الدولة» أو «الدولة الفلسطينية» كهدف من الأهداف التي يسعى الفلسطينيون لتحقيقها؛ وإنما كان هناك مواد فيهما ترشد وبصورة واعية إلى أنه لا توجد مهمة تفوق مهمة التحرير، حتى لو كان ذلك كياناً أو دولة!

لقد مرّت عملية استبدال هدف «تحرير فلسطين» المقدس (مثلما ورد النص على قداسته حرفياً في المادة 13 من الميثاق القومي، والمادة 15 من الميثاق الوطني) بأهداف ثانوية أخرى («أقل قداسة»)، الأمر الذي تدخّل في إمكان التفاوض بشأنها، بعملية «تعقيل» الفلسطينيين وترويضهم، والتي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على ضربهم إلى الحدّ الذي يجعلهم يتعلمون فيه «الدرس» جيداً، ليَنحوا ويَنحُوا في اتجاه «الواقعية»، ولا بأس في أن تُسمّى تلك العملية بأيدٍ مَن لا يمكن أن يرشد إليه الخيال الثوري، وهو «واقعية ثورية»!

إن الخروج السلمي من الأردن في إثر أحداث أيلول/سبتمبر الأسود – 1970وتموز/يوليو 1971، في اعتقادنا، كان هو أبو «التفكير الواقعي»، لأن البعض استخلص حينها أننا من الضعف بمكان لم نتمكن فيه من تحقيق انتصار أو ثبات في مواجهة حرس البادية الأردنية، فما البال بمقارعة القلعة النووية الصهيونية؟ وكانت مشاريع التسوية والحلول السياسية آنذاك قد ازدهرت بعد هزيمة 1967، وتغيرت الأولويات من استعادة «الوطن السليب» إلى «إزالة آثار العدوان»، واستدت تلك المساعي إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242 الذي اعتُمد في تشرين الثاني/نوفمبر 1967، واعتُبر عمود التسوية وركنها الركين (لم يعد أحد يذكره هذه الأيام، بعد أن كانت نشرات الأخبار تذكره عشرات المرات في اليوم الواحد!). وأخذت قوى عالمية وإقليمية تلعب دوراً في «التعقيل» والتنضيج، وكان من جملة ذلك التلويح للفلسطينيين بإغواءات وإغراءات «واقعية» كان التكيّف والتجاوب معها تجري ترجمتهما في قرارات المجالس الوطنية التي لم تكن تقرّ أي سياسات جديدة إلّا بعد نقاشات ومساجلات مطوّلة. وقد فهمنا لاحقاً أن الخلاف لم يكن أحياناً في جوهر الموقف، وإنما في صوغه وتخريجه والتعبير اللغوي عنه، فمثلاً بحسب بنود برنامج النقاط العشر، وبعد ضمان الموافقة على قيام السلطة الفلسطينية (مثلما ورد في النقطة الثانية) لم يكن هناك بأس في أن يضاف إليها نعت «سلطة مقاتلة». ولا بأس أيضاً، في أن تُعلن

هؤلاء الواقعيون كانت لديهم قلّة ذات حيثية شحيحة واستلاب أيديولوجي وسياسي واعتراف بـ «إسرائيل» منذ يومها الأول، ولم يؤمنوا بتحرير فلسطين ولا بالكفاح المسلح من أجله

منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً و«وحيداً» في قمة الرباط في سنة 1974.

وفي عملية العبث هذه التي جرى فيها تغيير الأهداف العليا واستبدالها، طُرحت ثلاثة أهداف وطنية بديلة، ليُستعاض بها عن هدف تحرير فلسطين الجامع، وهي مثلما أُعلنت في سنة 1974 (سنة تغيير وجهة الرأس السياسي الفلسطيني): حقّ العودة؛ وحقّ إقامة دولة؛ وحقّ تقرير المصير. وغدا فهمنا لاحقاً أن الخلاف لم يكن أحياناً في جوهر الموقف، وإنما في صوغه وتخريجه والتعبير اللغوي عنه، فمثلاً بحسب بنود برنامج النقاط العشر، وبعد ضمان الموافقة على قيام السلطة الفلسطينية (مثلما ورد في النقطة الثانية) لم يكن هناك بأس في أن يضاف إليها نعت «سلطة مقاتلة». ولا بأس أيضاً، في أن تُعلن

هؤلاء الواقعيون كانت لديهم قلّة ذات حيثية شحيحة واستلاب أيديولوجي وسياسي واعتراف بـ «إسرائيل» منذ يومها الأول، ولم يؤمنوا بتحرير فلسطين ولا بالكفاح المسلح من أجله

وفي عملية العبث هذه التي جرى فيها تغيير الأهداف العليا واستبدالها، طُرحت ثلاثة أهداف وطنية بديلة، ليُستعاض بها عن هدف تحرير فلسطين الجامع، وهي مثلما أُعلنت في سنة 1974 (سنة تغيير وجهة الرأس السياسي الفلسطيني): حقّ العودة؛ وحقّ إقامة دولة؛ وحقّ تقرير المصير. وغدا فهمنا لاحقاً أن الخلاف لم يكن أحياناً في جوهر الموقف، وإنما في صوغه وتخريجه والتعبير اللغوي عنه، فمثلاً بحسب بنود برنامج النقاط العشر، وبعد ضمان الموافقة على قيام السلطة الفلسطينية (مثلما ورد في النقطة الثانية) لم يكن هناك بأس في أن يضاف إليها نعت «سلطة مقاتلة». ولا بأس أيضاً، في أن تُعلن

في إعادة الاعتبار إلى «تحرير فلسطين»

[هذه المقالة كتبها السجين الفلسطيني لدى الاحتلال إبراهيم مرعي، ونشرت في مجلة «الدراسات الفلسطينية» في عددها الصادر حديثاً (خريف 2023، العدد 136) ويعيد ملحق «البلاد» نشرها هنا]

إبراهيم مرعي

برزت في المراجعات الجادة في العقدين الأخيرين إعادة الاعتبار إلى العديد من المصطلحات والمفاهيم الأساسية التي كانت بُنيت عليها التصورات والمحددات البكر الأولى لطبيعة الصراع القائم في فلسطين، والتي عرّفت أطرافه بتعريفات بالغة الوضوح. لكن بفعل عوامل الحتّ والتعرية، فقد دَرَست تلك المفاهيم والمصطلحات، ووصل الاغتراب عنها إلى ذروته في اللحظة الأوسلوية التي بلغ فيها فقدان المعنى أقصاه!

في بعض تلك المراجعات التي جاء كثير منها في واقع الأمر، كردة فعل عكسية على بؤس اللحظة الأوسلوية، وجزاء الوعي المتأخر بفداحة كارثيّتها، وفي إثر اليأس أيضاً، من أي رهان أو أمل يُرتجى ممّا كان يُدعى مسيرة أو عملية السلام، أو «حلّ الدولتين»، تتفاجأ تلك المراجعات بمَن أعاد اكتشاف أننا نعيش حالة «استعمارية» وأعاد تعريف الصهيونية و«إسرائيلها» بأنها حالة كولونيالية متناسلة من حقبة الاستعمارية المديدة. وفي مثل تلك المراجعات التي أعادت الاعتبار إلى مصطلح «استعمار»، لا يصعب على المدقق أن يُحصي في المقالة الواحدة ذات الصفحات العشر مثلاً، ورود مفردة «استعمار»، أو «كولونيالية»، وتصريفاتهما، من دون الضمائر المحلقة بهما، ستين أو سبعين مرة إن لم يكن أكثر؛ كأن تكرار المفردة يأتي في حد ذاته، تعبيراً عن حالة الاحتفاء بالاكتشاف الجديد وتأكيده وترسيخه.

وكان بين هؤلاء المراجعين مَن امتلك الشجاعة، وقاده هذا المنطق الذي أعاد تعريف الصهيونية بأنها حالة كولونيالية ذات شحنة عنصرية مقتلة، إلى خاتمة تسلسله السليم، وذلك بإعادة تعريف حالة المواجهة التي يفرضها الوجود الاستعماري الاستيطاني الإحلالي بأنها «حالة تحرر وطني». ويأتي هذا الاستنتاج كأنه رد على جميع النقاشات والمحاججات والأطروحات والتنظيرات التي بشّرت عند اتفاق «أوسلو» بأن «مرحلة التحرر الوطني» قد انتهت وطويت صفحتها، وأننا بصدد «مرحلة البناء الوطني»! في تلك الأونة، أصبح لدينا مؤسسات من نوع «جمعية المقاتلين القدامى» وشرع البعض يحدّثك عن تجاربه القديمة في العمل السرّي، كأنها صفحة انطوت وأن أوان البوح بأسرارها! وانتصب هناك من نعى على «التنظيمات» التي كانت مشتغلة بـ «التحرير» تقصيرها الفادح في قضايا المجتمع والبناء المجتمعي، بينما ذهب آخرون إلى تعريف مزدوج للمرحلة بأنها «مرحلة تحرر وبناء وطني» في الآن معاً، وأخذوا يحدثوننا عن نظريات في التنمية المستدامة أو نصف المستدامة، بعد أن طوى الحديث القديم عن اقتصاد الصمود!

لكن حتى هؤلاء الذين أوصلهم استنتاجهم المنطقي إلى إعادة الاعتبار، واعتماد أننا في «مرحلة تحرر وطني»، لم يصل بهم الأمر إلى الذهاب باستنتاجهم إلى منتهاه الطبيعي، وهو الخلوص إلى الدعوة إلى «تحرير فلسطين»، ولا سيما أن العديد من أصحاب هذه المراجعات مَن كان أسقط من حسابه هذا الخيار أو الهدف في العقود الماضية في إثر الوقوع تحت تأثير «التفكير الواقعي» الذي أنضجته الهزائم العسكرية، أو ربما تحت تأثير «القناعات الأيديولوجية» لدى البعض الآخر التي كانت نظّرت للتعايش والتصالح والسلام.

لقد كان «تحرير فلسطين» ولا شيء غيره، هو «الدين السياسي» الذي اعتنقه الفلسطينيون بعد سقوط البلاد في سنة 1948. وكان هو أبو الأهداف الوطنية العليا التي تتفرع عنه، وتقع دونه، أي أهداف أخرى. وعندما نشأت التنظيمات الفلسطينية منذ بواكيرها بين ظهراني الشعب الفلسطيني في أواخر خمسينيات القرن الماضي، حملت أسماؤها وبرامجها وأدبياتها هدف «التحرير»، ولا شيء غيره. فكان هناك جبهة «تحرير» فلسطين، كما أن حركة «فتح» لم تكن غير حركة «التحرر» الوطني، وعندما تأسست المنظمة لم تكن سوى منظمة «التحرير»، ولاحقاً ستأتي الجبهات: الشعبية، والديمقراطية، والعربية، والفلسطينية، والقيادة العامة، وليس لها من مهمّة إلّا «تحرير» فلسطين!

وعندما صاغ الفلسطينيون مواثيقهم وعهودهم الغليظة التي أقسموا عليها، والتي طالما وُصفت في حينه بأنها «إنجيل الثورة»، فإنها لم تكن سوى مواثيق تحرير، ولا شيء غيره! فـ «الميثاق القومي» الذي صيغ في أيام أحمد الشقيري، وردت فيه لفظة «تحرير» من دون كلمات: حرّ وحرية وأحرار، 22 مرة في 29 مادة. أمّا في «الميثاق الوطني» الذي جاء كتنقيح على سابقه «القومي»، وتطوير له، فوردت فيه هذه اللفظة 34 مرة في مواده الـ 34؛ ومن اللافت أنه لم يرد في الميثاقَين أي ذكر أو حتى مجرد إشارة إلى موضوع «الدولة» أو «الدولة الفلسطينية» كهدف من الأهداف التي يسعى الفلسطينيون لتحقيقها؛ وإنما كان هناك مواد فيهما ترشد وبصورة واعية إلى أنه لا توجد مهمة تفوق مهمة التحرير، حتى لو كان ذلك كياناً أو دولة!

لقد مرّت عملية استبدال هدف «تحرير فلسطين» المقدس (مثلما ورد النص على قداسته حرفياً في المادة 13 من الميثاق القومي، والمادة 15 من الميثاق الوطني) بأهداف ثانوية أخرى («أقل قداسة»)، الأمر الذي تدخّل في إمكان التفاوض بشأنها، بعملية «تعقيل» الفلسطينيين وترويضهم، والتي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على ضربهم إلى الحدّ الذي يجعلهم يتعلمون فيه «الدرس» جيداً، لينحوا وينحُوا في اتجاه «الواقعية»، ولا بأس في أن تُسمّى تلك العملية بأيدٍ مَن لا يمكن أن يرشد إليه الخيال الثوري، وهو «واقعية ثورية»!

إن الخروج السلمي من الأردن في إثر أحداث أيلول/سبتمبر الأسود – 1970وتموز/يوليو 1971، في اعتقادنا، كان هو أبو «التفكير الواقعي»، لأن البعض استخلص حينها أننا من الضعف بمكان لم نتمكن فيه من تحقيق انتصار أو ثبات في مواجهة حرس البادية الأردنية، فما البال بمقارعة القلعة النووية الصهيونية؟ وكانت مشاريع التسوية والحلول السياسية آنذاك قد ازدهرت بعد هزيمة 1967، وتغيرت الأولويات من استعادة «الوطن السليب» إلى «إزالة آثار العدوان»، واستدت تلك المساعي إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242 الذي اعتُمد في تشرين الثاني/نوفمبر 1967، واعتُبر عمود التسوية وركنها الركين (لم يعد أحد يذكره هذه الأيام، بعد أن كانت نشرات الأخبار تذكره عشرات المرات في اليوم الواحد!). وأخذت قوى عالمية وإقليمية تلعب دوراً في «التعقيل» والتنضيج، وكان من جملة ذلك التلويح للفلسطينيين بإغواءات وإغراءات «واقعية» كان التكيّف والتجاوب معها تجري ترجمتهما في قرارات المجالس الوطنية التي لم تكن تقرّ أي سياسات جديدة إلّا بعد نقاشات ومساجلات مطوّلة. وقد فهمنا لاحقاً أن الخلاف لم يكن أحياناً في جوهر الموقف، وإنما في صوغه وتخريجه والتعبير اللغوي عنه، فمثلاً بحسب بنود برنامج النقاط العشر، وبعد ضمان الموافقة على قيام السلطة الفلسطينية (مثلما ورد في النقطة الثانية) لم يكن هناك بأس في أن يضاف إليها نعت «سلطة مقاتلة». ولا بأس أيضاً، في أن تُعلن

هؤلاء الواقعيون كانت لديهم قلّة ذات حيثية شحيحة واستلاب أيديولوجي وسياسي واعتراف بـ «إسرائيل» منذ يومها الأول، ولم يؤمنوا بتحرير فلسطين ولا بالكفاح المسلح من أجله

المقال كاملاً على الموقع

الأخبار
al-akhbar
السبت 7 تشرين الأول 2023 العدد 5029

نبض المدينة

الطرب كلّه مع عبد الكريم الشعار

يستضيف «مترو المدينة» مساء اليوم عبد الكريم الشعار في أمسية يخصّصها لأداء أغنية «وحدي أنا والكاس» التي قدّمها للمرة الأولى على مسرح «المترو» القديم عام 2017، ويُعيد اليوم تقديمها نزولاً عند إصرار القيّمين على مكان الحفلة برفقة مجموعة من الموسيقيين.

يتذكر الشعار عندما قدّم الأغنية قبل سنوات. كان ذلك قبل الأزمات الصحية والاقتصادية التي قضت في السنوات الأخيرة على حماسة البعض في هذا المجال. إلا أن الشعار يصرّ على أن من يفهم الموسيقى لا يتأثر، وعليه أن يكمل ويستعيد نشاطه مهما كان. أمسية الـ2017 كانت رائعة على حد قوله. يشرح متحدثاً عن الأغنية: ««وحدي أنا والكاس» هي لمحمد مطر وهو ملحن كبير. وبما أنه عازف بزق، فهي مطبوعة بالأسلوب الـ«جيبسي» وفيها الكثير من روح الفلامنكو. فهذه هي أجواء عائلته». من يحبّ تذوق الموسيقى الطربية والأغاني الطويلة، لا شك في أنّه سينجذب إلى الشعار. فهو دائماً حاضر لتقديم الأعمال الطربية من تواشيح صوفية وأدوار وموشحات. يمتلك طاقات صوتية هائلة، تمكّنه من تأدية أصعب القطع الطربية كما يميل إلى الارتجال على المسرح خلال أمسياته الغنائية ككل المغنين الذين يقدّمون هذا النوع من الفن الغنائي. يقدم منذ وقت طويل أمسيات طربية مخصصة لكلاسيكيات عربية أغلبها يعود إلى أم كلثوم.

أما ما يميّز برنامج سهرته المرتقبة في «مترو المدينة»، فهو أنه يتألف من أغنية واحدة طويلة، وهو أمر ليس غريباً على الشعار. يقول لنا: «سبق أن أدّيت أغنيات طويلة لأم كلثوم. وكانت أجواء جميلة. المسرح ذو مساحة وليس كالتسجيل في استديو. كما أن هناك تجليات وتطريب وإعادات، والناس يشاركون المطرب المغنى، وأحياناً يغنون مكانه. نقضي وقتاً جميلاً في أجواء مميزة».

ترافق الشعار على المسرح مجموعة من العازفين أبرزهم ابن المؤلف مطر محمد الذي ورث أيضاً عن أبيه موهبة العزف على البزق، وسيكون بصحبة آلته هذه، إضافة إلى محمد نحّاس (قانون) وزياد الأحمدية (عود) وفؤاد بو كامل (كونترباص) وأحمد الخطيب (رق) وبهاء ضو (بونغوز).

أجواء موسيقى الفلامنكو التي تتميز بها أغنية «وحدي أنا والكاس»، تعود إلى أصول مطر محمد الغجرية وترعرعه في كنف عائلة بقاعية أجادت الموسيقى، فتعلم من والده العزف على البزق في وقت باكر جداً، وأصبح معروفاً بعدما بدأ يعزف في الملاهي والحفلات في بيروت كما ظهر في مسرحيات وقدّم ألحاناً شهيرة. في عام 1973، لحّن أغنية «وحدي أنا والكاس» من كلمات إيلي شويري. وكان يُفترض أن يؤديها الشعار، لكنّ ظروفاً شخصية ووضع البلد عموماً، حالا دون ذلك، مع أنه كان قد بدأ التمرين عليها وسجّل جزءاً منها. اكتشف المؤلِف الشعار خلال إطلالته في «استوديو الفن» وأُعجب بصوته وطلب مقابلته كي يعرض الأغنية عليه. لكن العمل توقف ونعرف لاحقاً أنه بات عنواناً لأغنية أداها جورج وسوف، الذي كان قد سمع مقطعاً منه. وبعد مرور عقود من الزمن، قرر الشعار أن يؤديها أخيراً أمام جمهور في نسخة طربية طويلة عمل خيّام اللامي على توزيعها، وبالطبع فيها مساحة كبيرة للارتجال. وسيكون تقديمها ثانية على مسرح «مترو المدينة» الجديد بمثابة تحية للفنانين الراحلين، وخصوصاً مطر الذي غادرنا عام 1995 بعد مرور فترة على إصابته بجلطة خلال وجوده في الولايات المتحدة.

بعد الأمسية، ينطلق الشعار في سلسلة من المشاريع يقول إنّ أغلبها في الخارج من أجل تقديم الحفلات. ويتابع ببعض الفكاهة والسخرية: «سنرى كذلك أين سيضعوننا في هذا البلد المحطّم على جميع الأصعدة. نحتاج إلى مترجمين لنفهم. من يعرف كيف كان لبنان وكيف أصبح، يدرك للأسف أن الوضع أشبه بعملية انتحارية». ويضيف من جهة أخرى: «مؤكد أن الموسيقى فسحة أمل، ولكن حتى الموسيقى باتت تشبه البلد. لا شك في أنّ هناك أشخاصاً يعرفون ما يسمعونه. حتى هؤلاء يتجهون أحياناً نحو ما هو رائج. واللبناني يتأقلم سريعاً. وينتقي بين الجيد والأقل جودة ويجد المكان الذي يناسبه. لكن حتى بوجود كل هذا التخلف والمحن، يبقى شعباً ذواقاً للموسيقى التي لا شيء يحرجها أو يأخذها إلى مكان آخر على الرغم من الأشياء المنفرة التي نراها على وسائل تواصل مثل التيك توك».

«وحدي أنا والكاس»: الليلة، «مترو المدينة» (أريسكو بالاس ــ شارع كليمنصو، بيروت) ـ للحجز: 76/309363

أجيال عربية هائمة

بول مخلوف

يرسم دينيس جونسون في مجموعته القصصية «ابن يسوع» الوجوه الشاحبة للتائهين الغارقين في أزقّة المتاهات المعتمة والدهاليز الباردة الخاوية مثل أرواحهم. يخبرنا قصصاً عن أولاد المصلوب؛ عن المصلوبين جرّاء خطيئة الهشاشة والانكسار، الذين صلبتهم المدن الكبرى ورمت مصائرهم في حاويات القمامة، أبطال قصص الحب الفاشلة والشجارات الساذجة والكئيبة، ضحايا التربية العنيفة وسوط الأهل، عن الغارقين في الإدمان بكل سرياليته، ووطأته، ووخزاته المسنونة كإبر تنقر شرايين الدم. أخبار أولئك الأقل حظاً، الذين لم يستطيعوا تحمّل قساوة العالم وفجاجة أيامه. وجوه لا تعرف النوم من الصحو، تتجول باستمرار تلاحق أشباحها، والعيون جاحظة تكاد تقع من فرط التخدير. أبطال جونسون والراوي واحد منهم- الذي لا اسم له سوى لقبه «الأخرق» («فاكهيد»)- لا يربطهم شيء مع الأرض سوى الجاذبية. ولشدّة انفصالهم عن كل قيّد تغدو الهلوسة، والتشتيت، والتبعثر نواميس الذاكرة والكلام والفعل. هكذا، هجروا جميعهم الأرض وقطنوا تحتها، في عالم تعلم دقات قلبهم أبوابه جيداً؛ عالم سفلي دائماً ما تُلعب الصدفة ضدّه. لا أحد منهم يأبه للصدفة مثلما لا أحد منهم يكترث لما تحمله الأيام له. الحياة هنا لصيقة بالموت. إن راود أحدهم الحظ في نهاية المطاف، فستجيء ورقة نعوته على شكل رواية، تدوّن لنا سيرته الذاتية الصاخبة بالمأساة والهزل يكتبها «الأخرق»، وفي كل الأحوال، هذا حظ سيئ. ملعونون، مفلسون، مفطورو القلب، مدمنون لا يمكن إصلاحهم، لكنهم في الوقت عينه، يعرفون اسم كل قطرة مطر، ويشعرون بكل شيء يحدث قبل حدوثه. لا نعرف أسماءهم قُلنا لكنهم ليسوا بغرباء. نقرأهم كشخوصٍ بيد أن سيرتهم توحي لنا بأنهم قريبون منّا وعلينا، كالجيران الذين نتسامر معهم على الشرفة، أو كأنهم من هؤلاء الذين سمعنا عنهم في التلفاز، وبتنا نسأل يومياً عن أخبارهم. بين عالم دينيس جونسون وبيننا، كجيل عربي متخبط، قشرة موزة مهترئة. والحال، إن القراءة هنا تبدو كأنها دعس على تلك الموزة ما يؤدي إلى الانزلاق، وبالتالي امحاء الحبل الفاصل، والولوج إلى القالب السردي والتورط فيه، ثم رؤية الجيل العربي، مع وعبر، «أبناء» التضحية (العبثية) والفناء (المجاني) مع ذاك التراجيدي الثقيل. تطوف الأجيال العربية حول نفسها وتهيم غير عارفة بوجهتها. المنجمون والعلماء متفقون أن الخفوت الحاصل يفيد بإطالة المغيب، وعليه، إن وجهة الطريق شبيهة بوجوه أبطال دينيس جونسون: مجهولة، منزوعة الملامح، وقد تنطفئ في أي لحظة. على هذا النحو يغدو العيش عند أجيالنا العربية أشبه بالسير على درب الجلجلة، بينما كل التفاتة عن هذا المسار تتجلّى في النظر بعيداً، بالأحرى، النظر نحو الرحيل. نتكلم في هذا العدد من «إنّما» عن القعر بلا قاع الذي «يستضيف» الأجيال العربية. عن الأحوال عموماً. وعن أرض الشوك الموجعة التي كلما دعسنا عليها كلما زاد التصاقنا بها مهما اتسع الجرح، وتضاءلت فرصنا بالانزلاق.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 7 تشرين الاول 2023
العدد 5029 السنة الثامنة عشرة
Samedi 7 Octobre 2023 nº 5029 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

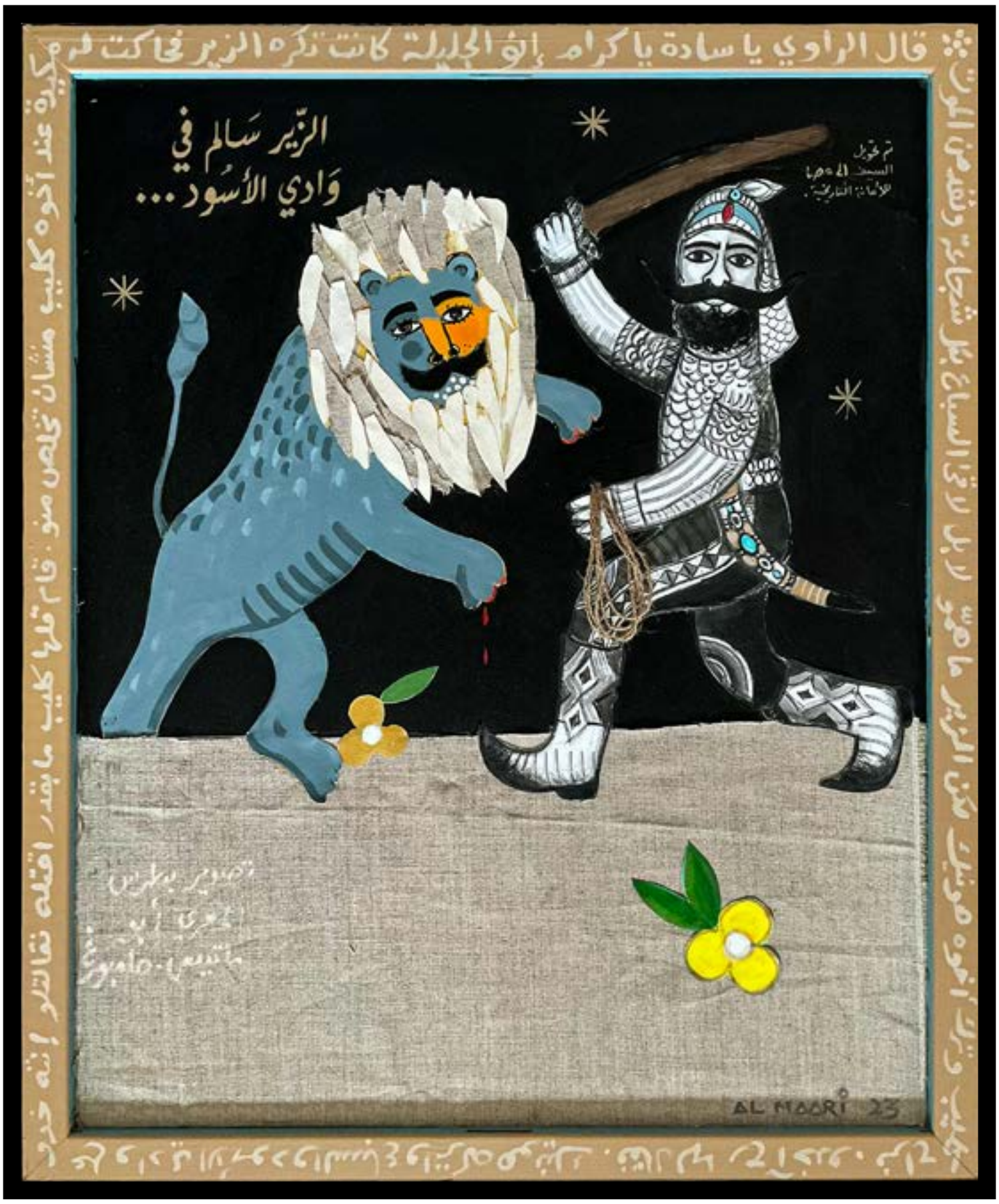

(بريشة التشكيلي السوري بطرس المعرّي)

الزير سالم

ضيفاً على رولان بارت و«إخوانه»

خليل صويلح

خرج الزير سالم من فضاء الحكاية الشعبية وسلطة حكواتي المقهى، ليحلّ ضيفاً على رولان بارت، وأمبرتو إيكو، وتزفيتيان تودوروف، وجيرار جينيت، وبول ريكور، بوضع هذه السيرة في مهبّ نظريات السرد المعاصر، و«الحكاية داخل الحكاية». وإذا بالأدب الشفاهي يخضع لبرتوكولات جديدة تحلّق بالنصّ نحو ما هو تاريخي وأسطوري في آنٍ واحد، وتالياً تقشير طبقات الحكاية دائرياً، بما يشتبك مع سرديات «ألف ليلة وليلة» لجهة الحكاية الإطارية، وما يتوالد عنها من مرويات فرعية.

في كتابه «السيرة الشعبية في قصة الزير سالم بين الراوي والمروي عليه» (دار كنعان) يُخضع منذر حسن شباني هذه السيرة المرتحلة لمسطرة نقد ما بعد الحداثة، وتتبع سكة الحكاية من الشفاهي إلى الكتابي، ومن تخيّلات الراوي إلى توقّعات المروي عليه، نظراً إلى غياب المسوغات التاريخية للحرب بين اليمانيين والقيسيّين. لكن المبرر القصصي يبدو حاضراً بقوة دفع الخيال، ومتانة الحبكة، وتعدد الرواة، ما يحقق «المتعة النصيّة» بصرف النظر عن التناقضات في البنية السردية، فالمهم هنا هو إنتاج البطل الذي يُرضي فعل التلقي لدى المروي عليه. هكذا يتناوب الرواة على سرد الحكاية بتبديل مواقعهم من أن يكون أحدهم راوياً حيناً، ومروياً عليه وعنه طوراً، بما يفيد تأجيج حطب الحكاية. كأنّ «الناقة» التي أشعلت حرب البسوس مجرد ذريعة أولى للذّة الحكي، إذ تتفرّع الحوادث لتستقطب شخصيات إضافية تنطوي على مقدرة في التخييل، فمقتل كُليب سيمثّل «ذروة الفعل الحكائي»، فيما يمثّل الزير سالم قضية الحكاية الكبرى، وستحيلنا حكاية «الجليلة» إلى حصان طروادة، حين تخبئ الرجال في الطبقة السفلى من صناديق عرسها لحظة دخولها قصر الملك التبّع اليماني للانتقام منه، بتواطؤ مع عرّافة الرمل، ما يؤدي إلى موت الملك بسيف الزير. هنا نتعرّف في طبقة أخرى من الحكي إلى شخصية الزير سالم لا كبطل خارق فحسب، وإنما أيضاً كشخصية مأساوية تتكشف بمقتل أخيه «كُليب». إذ يرثيه بقصيدة مؤثرة تقع في باب التراجيديا العالية. يلفت الباحث السوري في هذا السياق إلى الهجنة اللغوية في أشعار هذه الملحمة الشعبية التي تتمازج فيها الفصحى والعامية، إضافة إلى عدد من الأصوات، واختفاء الراوي، وحضور المروي عليه، لحظة صعود الزير كذات مستقلة وفاعلة، إذ يرفض الصلح بقصد الثأر لمقتل أخيه، فتبتعد المسافة بين هدف الحرب وهدف الحكي، فكان على الزير أن يؤجل قتل جسّاس لإطالة عمر الحكي، محققاً بذلك «ثنائية النطق والاستمتاع» أو انسجام الراوي مع المروي عليه، بصرف النظر عن قضية الثأر، فاللذّة النصيّة أهم بمراحل من مبررات الحرب، حتى إنّ جسّاس نفسه سيدعم المروي عليه بوجهة نظر أخرى في الحرب، ضمن ما يُعرف بالتبادلات السردية أو عمل الرواة الداخليين، فيغدو «صوت المروي عليه- في نهاية المطاف- هو صوت البطل».

على المقلب الآخر، تعتني هذه الحكاية بالتفريق بين زمن القصّة وزمن السرد، كما تلتفت إلى ذكاء الراوي في إدارة أحداث القصة، وإذا بزمن الحكي يتداخل مع زمن السرد بأساليب متعددة، مثل «استباق الأحداث المستقبلية أو استرجاع ما مضى عن طريق الوعي أو الرؤيا». كأن ما يؤرق المروي عليه هو تحوّل الراوي إلى مؤرخ، ما يؤدي إلى مواجهة بين «واقعية الزمن التاريخي ولا واقعية زمن القصّ» لينتصر زمن السرد أخيراً، وفقاً لرغبات المروي عليه باعتباره البطل الحقيقي في السيرة الشعبية.

ملف

الثقافة ترياقاً، أدونيس مكرماً وأهلاً بالرواية والشعر

«معرض لبنان للكتاب»: بيروت ما زالت قادرة على اجتراح العجائب

لا تزال بيروت قادرة على اجتراح المفاجآت في مجال الكتب والثقافة والإبداع. ولو حملت هذه المفاجآت الكثير من السجال والجدل الذي لا ينضب في مدينة ميزتها القدرة على اجتراح الأفكار وتجديد هويتها واهوائها معاً كلّ حين. معرضان للكتاب في بيروت يفصل بينهما أقل من شهر واحد. معرض أول تنظّمه «نقابة الناشرين اللبنانيين» بين 13 و22 أكتوبر (تشرين الأول) الجاري تحت عنوان «معرض لبنان الدولي للكتاب». والمعرض الآخر الذي درج «النادي الثقافي العربي» على تنظيمه كل عام تحت عنوان «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» في دورته الخامسة والستين (من23 تشرين الثاني/ نوفمبر حتى 3 كانون الأول/ ديسمبر). مفارقة تستحضر اسئلة لا بد لكل متابع لأحوال الثقافة في لبنان أن يطرحها على المعنيين بالتظاهرتين في بيروت التي تتشظى ثم تلتحم وبالعكس في لعبتها الأثيرة منذ أقدم العصور. ألم يكن الكتاب علامة بيروت الفارقة حتى في خضم الحرب اللبنانية. وكانت المكتبات في شوارعها أشبه بمعارض دائمة للكتب؟ ألا يقام أكثر من معرض للكتاب سنوياً في غير مدينة لبنانية مثل طرابلس وأنطلياس والخيارة (البقاع) وصور. وبالتالي تستوعب البلاد والمدينة كل المبادرات البناءة والخلّاقة كدليل لعودة العافية إليها؟ لكن في المقلب الآخر. ثمة أسئلة مشروعة تفرض نفسها في بلد يسيّس فيه كل شيء حتى الطعام والأعياد وتوقيت الساعة. أليس في إقامة المعرضين دليل على الانقسام السياسي العمودي في البلد - البيت بمنازله الكثيرة كما يصفه كمال الصليبي؟ ألا تمثّل هذه الخطوة انقلاباً من «نقابة الناشرين اللبنانيين» على «النادي الثقافي العربي» الذي يعتبر «معرض بيروت للكتاب» علامته الحصرية المسجّلة؟ ما الذي سيمثّل العلامة الفارقة في المعرض الذي سيبدأ بعد أيام قليلة؟ كيف سيكون حضور الرواية والشعر فيه؟ وهل سيعيدان الألق للمدينة المجروحة؟ حملنا في «كلمات» تساؤلاتنا إلى اللجنة المنظمة لمعرض «معرض لبنان الدولي للكتاب». مع تأكيدنا على تخصيص ملحق في أوانه حول «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» واستطلاع آراء منظميه والمشرفين عليه. لمراعاة الأصول المهنية واكتمال الصورة

محمد ناصر الدين

يؤكد محمد هادي، مدير «دار الرافدين» وعضو اتحاد الناشرين أنّ فكرة المعرض ليست جديدة. شرعت نقابة الناشرين في التسعينيات من القرن الماضي بتنظيم سبع نسخ من هذا المعرض كانت آخرها عام 2001. هادي الذي يشيد بدور «النادي الثقافي العربي» الذي أقام المعرض الأول للكتاب عربياً، يؤكد على حصول اتفاق بين النقابة والنادي بعد

> **أنشطة تطال مختلف أنواع الفنون والآداب وصناعة الثقافة وورش عمل حديثة تحاكي الشباب**

تلك الدورة الأخيرة بحيث يُدمج المعرضان باعتبار النقابة شريكاً أساسياً في صناعة الثقافة مع «النادي الثقافي العربي». حول أسباب فضّ الشراكة، يجيب هادي بأنّ مفهوم معارض الكتب قد تطوّر كثيراً في السنوات الأخيرة، إذ لم تعد هذه المعارض مجرد عرض كتب على الرفوف تنتظر القراء والزبائن، بل منظومة متكاملة ولقاء بين الأطراف كافة المشاركة في صناعة الكتاب، انطلاقاً من الكاتب ومروراً بالناشر وليس انتهاء بأصحاب الحقوق الأجانب والقراء والموزعين. يضيف هادي أن وزارة الثقافة اللبنانية تبنّت اقتراح معرض واحد للكتاب هذا العام وطلبت من النقابة المساهمة في إنجاح هذه الفعالية بالكيفية والشروط الموسعة. يضيف أنّ النقابة حاولت التنسيق مع «النادي الثقافي العربي» والتأكيد على أنّ الهدف منه هو الارتقاء بالنشر اللبناني والثقافة العربية بعيداً من ثقافة الانقسام والكيدية السياسية بدليل أن منظمي المعرض هم حصراً من الناشرين الذين لا يتعاطون الشأن السياسي على الإطلاق. يتابع هادي أن اللجنة الإدارية في نقابة الناشرين اجتمعت من بعدها وناقشت استعادة «معرض لبنان الدولي للكتاب» وإقامته بشكل موسّع وحديث، بحيث جرى الاتفاق على الأمر بالإجماع وإطلاق موقع لتسجيل الناشرين في شهر حزيران (يونيو) الفائت، فبلغ عدد الناشرين المشاركين نحو 277 داراً بين لبنانية وعربية وعالمية من 21 دولة في تظاهرة سيشهدها لبنان للمرة الأولى. يختم هادي بأنّ المعرض يُراد له أن يكون متنفساً حقيقياً للناشر اللبناني الذي يعيش شبه عزلة نتيجة الأزمة لعودة إيمانه بمهنته، وإرضاء الذائقة المتنوعة للقارئ اللبناني الذي ليس قارئاً عابراً وإنما هو قارئ متذور يقرأ بلغات عدة، ناهيك بالبرنامج الثقافي المهم الذي يشمل تكريم شخصية شعرية وفكرية عربية مرموقة مثل أدونيس، إضافة إلى أنشطة تطال مختلف أنواع الفنون والآداب وصناعة الثقافة بدءاً من مهنة الثقافة نفسها وورش عمل حديثة تحاكي الشباب، إذ يستضيف البرنامج الثقافي للمعرض الإعلامية لانا مدور التي تقيم ورشة عمل حول كيفية إنتاج محتوى ثقافي ناجح على السوسيال ميديا، وفعاليات باللغتين الفرنسية والإنكليزية وأنشطة للأطفال للتشجيع على القراءة وارتياد المكتبات واقتناء الكتب.

هناك حصة وازنة لكل من الرواية والشعر يحرص عليها المنظمون لـ «معرض لبنان الدولي للكتاب»، إذ تعد مديرة «دار الساقي» رانية المعلّم القراء بوجبة روائية دسمة تحضر على مائدة الدار في هذه الدورة، مستهلّة العرض بجملة للكاتب اللبناني عباس بيضون لتقديم رواية إيمان حميدان الجديدة «أغنيات للعتمة»: «نحن أمام التاريخ في عمقه النسوي، ولذلك لا يغدو أكثر حقيقية فحسب بل أكثر سلاسة وشاعرية. إننا هكذا أمام غناء آخر، أمام العمق نفسه وقد استحال أنشودة، والزمن وقد وجد في الألم والأمل سياقه». كما تكشف ما يصدّر به الروائي اللبناني رشيد الضعيف روايته الجديدة «ما رأت زينة ولم ترَ»: «الرّابح من آب 2020. ينزلق فنجان الشاي من مكانه ويقع. «انكسر الشرّ»، تعلّق الستّ سوسن. ثمّ يسقط تمثال لمريم العذراء ويتحطّم. «الله يعطينا خير هالنهار»، تتمتم زينة. لكنّ الشرّ في ذلك اليوم لم ينكسر والخير لم يأتِ. بل إنّ ما حدث مع المرأتين كان نذيراً بكارثة آتية. سينفجر الكون. سينفجر ثانيةً...». تشارك الدار أيضاً بباقة من الترجمات أهمها «موت في منتصف الصيف» للكاتب الياباني الكبير يوكو ميشيما بترجمة اسكندر حبش، إذ تغطّي هذه القصص الخمس فترة واسعة من إبداع يوكيو ميشيما الأدبي، وتقحمنا في المناخ الذي تميّزت به غالبية أعماله وتلقي ضوءاً متفرداً عليها، إضافة إلى ترجمة حبش أيضاً لرواية الروسية إيرين نيميروفسكي (1903-1942) التي كانت تكتب بالفرنسية وعرفت نجاحاً كبيراً في فرنسا خلال ثلاثينيات القرن الماضي وهي الكاتبة الوحيدة التي مُنحت «جائزة رونودو» بعد وفاتها في عام 2004، ورواية «شكل الماء» للكاتب والسيناريست والمخرج الإيطالي أندريا كاميلليري الذي اشتهر بالروايات البوليسية الأدبية بترجمة رامي طويل. تؤكد المعلم أن للكتب الفكرية حضورها أيضاً، ومن أبرزها «الأصول البشرية» لعالم الأنثروبولوجيا والباحث في تطور الدماغ البشري أنطوان بالزو (ترجمة جلال بدلة). إذ يقدّم الكاتب الاكتشافات الحديثة، ويأخذنا في رحلة التطور هذه إلى ما يميز البشر عن الثدييات الأخريات، وإلى التعرّف من خلال دراسة البيئات وأنماط الحياة إلى سلوك البشر الأوائل. أضف إلى ذلك «تاريخ الاقتصاد العالمي» لأستاذ الاقتصاد جان مارك دانيال (ترجمة جلال بدلة) الذي هو رواية للتاريخ الاقتصادي للعالم وفكّ رموزه، في نظرة شاملة وكاملة منذ أصل الحضارات حتى العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، تغطي المساحة الممتدة من الصين إلى أوروبا مروراً بأفريقيا وأميركا. وتشير المعلّم كذلك إلى كتاب فائق الأهمية للفيلسوف الفرنسي جاك دريدا بعنوان «أن تفكر أن تقول لا» (ترجمة جلال بدلة)، يُنشر للمرة الأولى، كان قد كتبه بخط يده في الستينيات من القرن الماضي، مرحلة الغليان الفكري في فرنسا ويؤكد فيه دريدا أنّ الرفض علامة التفكير الأصيل، وأن الفكر الحقيقي قلقٌ دائم وحركة من النفي المستمر، ورفض للتعصب العقائدي السياسي والديني، للأحكام المسبقة، للمسلّمات التي حاربتها الفلسفة منذ نشأتها، في إضاءة ثمينة حول تحدّ فكري يحتفظ بأهميته اليوم، في وقتٍ يصعب فيه التمييز بين الفكر والمعتقد. كتاب آخر تقدّمه «الساقي» لمتابعي الباحث الفرنسي أوليفييه روا يحمل عنوان «تسطيح العالم» (ترجمة بديعة بوليلة). هنا يتابع صاحب «الجهل المقدس» حفرياته في القضايا الشائكة والراهنة، في الهويات مقابل النزعة الكونية، الجندر مقابل الجنس، الجمهورية مقابل الجماعوية، العنصرية، النسوية، الهجرة. ويكشف أن المشترك بين هذه القضايا بتداعياتها السياسية القوية هو الثقافة بكلّ ما للكلمة من معان. كما يرفض روا فرضية «الحرب الثقافية» أو صراع القيم، فما يعاني أزمةً، حسب رأيه، هو مفهوم الثقافة ذاته الذي اختُزل إلى نظام من رموز معولمة تغزو الجامعات كما المطابخ، ومعارك الهوية والأديان كما العلاقات الحميمة، وحتى مشاعرنا المصنّفة في رموز تعبيرية.

أما الشعر، فيحضر بقوة من خلال دارَي «النهضة العربية اللبنانية» و«رايــة». إذ تصدر «النهضة» مختارات شعرية شاملة بعنوان «خيانة الألم» للشاعر العراقي شوقي عبد الأمير (أعدها وقدم لها محمود وهبة) تجمع باقة من أعماله الشعرية في جزء واحد من 400 صفحة، وتغطي كل مفاصل الشاعر الكتابية ابتداءً من «بابيل» وصولاً إلى «نادو» وآخر تحولات الكتابة لديه. كما تستعيد ذكرى الشاعر والمسرحي اللبناني الراحل سحبان مرة من خلال إعادة طباعة كتابه «نوادر الملّا نصر الدين الصغرى» الذي يتضمن متتاليات قصص قصيرة جدّاً من بطولة الملّا نصر الدين خوجا - جحا تجسّد بياناً إنسانياً رفيعاً ضدّ الظلم والاستبداد والجهل والتخلّف والتعصّب الأعمى. كما تقيم «النهضة» ندوة حول الكتاب بمشاركة الشاعرين فيديل سبيتي وكاتب هذه السطور والمحامي وليد زرقط. وتنظّم الدار أمسية شعرية شبابية تجمع الشعراء فاطما خضر وسارة حبيب (سورية) ومريم كريم وحسن المقداد (لبنان). ويشارك الشاعران اللبنانيان عباس بيضون وعبده وازن في أمسية شعرية (10/16) مشتركة يقرآن فيها من قديمهما وجديدهما في أمسية تنظّمها «دار النهضة» ويديرها الشاعر محمود وهبة، احتفاء بقصيدة النثر التي يعدّ بيضون ووازن من روادها على الصعيدين اللبناني والعربي. أما دار «رايــة» فتشارك في المعرض بمختارات للشاعر عبده وازن بعنوان «ملاك بلا جناحين» التي تعرض تجربة الشاعر في تنويعاتها كافة منذ دواوينه الأولى وصولاً إلى آخر إصداراته، إلى جانب مختارات شاملة لعباس بيضون تحت عنوان «نقد الألم» تواكب تجربة صاحب «الوقت بجرعات كبيرة»، من بداياتها في «قصيدة صُور» وصولاً إلى مجموعة «كلمة أكبر من بيت» الصادرة عام 2022 في بيروت. كما تصدر «رايــة» مجموعة عبارة عن قصيدة واحدة مطولة للشاعر والمترجم اللبناني بول شاوول، بعنوان «هؤلاء الذين يموتون خلف أعمارهم»، يهديها شاوول إلى أطفال غزة، الذين يواصلون معجزة الحياة رغم الحصار الخانق والحروب المتواترة في تصعيد للغة شاوول الشعرية التي طبعت تجربته المهمة. يحضر أيضاً الشاعر اللبناني أنطوان أبو زيد في «كوريغرافيا رجل الضواحي» ومحمود وهبة في «غرف قليلة الحيلة» والعراقي ميثيل زيدون الرائي في «العالم كلّه في صناديق» والسوري حسين بن حمزة في «كمن يريد أن يمحو».

معرض لبنان الدولي للكتاب: بدأ من 13 حتى 22 تشرين الأول (أكتوبر) - «فوروم دو بيروت»

انغوس تايلور ـ منحوتة من البرونز والحديد (42 × 25 × 18 سنتم ـ 2023)

وجوه المعرض

◄ أدونيس

10/14 من الخامسة والربع حتى السابعة مساءً

صاحب «أغاني مهيار الدمشقي» ضيف أساسي في «معرض لبنان الدولي للكتاب» الذي يستهل برنامجه الثقافي بجلسة حوارية مع أدونيس رائد الحداثة الشعرية العربية يليها حفل تكريمي تقديراً لإنجازات الشاعر الذي أسهم في تأسيس مجلتَي «شعر» و«مواقف» ويتابع بعد بلوغه التسعين إثارة الزوابع الفكرية في المياه الراكدة للثقافة العربية.

◄ حسن داوود

10/19 من السادسة الا الربع حتى السابعة الا الربع مساءً

في مناسبة مرور أربعين عاماً على صدور «بناية ماتيلد»، الرواية التي كرّست حسن داوود واحداً من أبرز الروائيين اللبنانيين والعرب، يحتفي المعرض بصاحب «سنة الأوتوماتيك» و«لعبة حيّ البياض» ضمن ندوة يشارك فيها كلّ من الصحافي والكاتب حازم صاغية، والروائية هدى بركات عبر تطبيق الزوم، والروائية كاتيا الطويل والدكتور فؤاد فؤاد ويديرها الزميل محمد ناصر الدين.

◄ رشيد الضعيف

10/15 من الخامسة حتى السابعة مساءً

لا ينضب مخزون صاحب «عزيزي السيد كواباتا» و«الأميرة والخاتم» من السرد الذي يضرب عميقاً في الأسطورة والمخزون التراثي والثقافي للمنطقة، أو من الأحداث السياسية التي طبعت السنوات الأخيرة كانفجار الرابع من آب الذي يحضر بقوة في رواية رشيد الضعيف الجديدة «ما رأت زينة ولم ترَ» الصادرة عن «دار الساقي» حيث تحضر الأحزان الكبيرة في الوطن الصغير.

◄ بثينة العيسى

10/21 من الرابعة حتى الخامسة والربع

تحل الروائية الكويتية بثينة العيسى ضيفة على البرنامج الثقافي للمعرض من خلال ندوة تديرها الروائية الجزائرية فضيلة الفاروق وتحمل عنوان: «الرواية العربية وتطور ممكنات السرد». العيسى التي ابتدأت مسيرتها الروائية باكراً في روايتها «ارتطام» عن عمر لم يناهز الثانية والعشرين، وكرّت من بعدها سبحة أعمالها الروائية مثل: «سعار» و«عروس المطر»، و«خرائط التيه» تستعرض في الندوة شؤون كتابة الرواية وشجونها.

◄ سعود السنعوسي

10/19 من الرابعة والنصف حتى الخامسة والنصف عصراً

الكاتب الكويتي الفائز بجائزة «بوكر» العربية (2013) عن روايته «ساق البامبو» يشارك في البرنامج الثقافي للمعرض من خلال ندوة بعنوان «الرواية الخليجية. آفاق جديدة» يستعرض فيها مراحل تطور الرواية الخليجية ومميزاتها، كما يوقع روايته الجديدة بعنوان «أسفار مدينة الطين» الصادرة بجزأين في طبعة مشتركة عن دارَي «سولاف والرافدين» يعود فيها الروائي الشاب إلى قرائه بعد ثماني سنوات من إصداره الأخير «فئران أمي حصة» (2015).

◄ علي بدر

10/21 من الثالثة حتى الرابعة عصراً

يتناول الروائي العراقي علي بدر شؤون الرواية اللبنانية من خلال ندوة بعنوان «شهادة عراقية حول الرواية اللبنانية»: الكاتب الذي رصد الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في العراق في روايات مثل «بابا سارتر» و«الوليمة العارية» ويعتبر أحد رموز رواية ما بعد الحداثة العربية، يطلّ هذه المرة من موقع الناقد ويسهم في إثراء النقاش حول الرواية اللبنانية، وموقعها على الخريطتين العربية والعالمية.

◄ عبد الجبار الرفاعي

10/17 من الخامسة والنصف حتى السادسة والنصف مساءً

الباحث العراقي وأستاذ الفلسفة الإسلامية، الذي يعتبر من مؤسسي علم الكلام الإسلامي الجديد، يحاضر في «الدين والنزعة الإنسانية» ضمن مشروعه الهادف إلى استكشاف آفاق إنسانية جديدة ونقاط التقاء بين الأديان، كما يوقّع كتابه الجديد «مسرّات الكتابة ومخاض الكتابة» في جناح «دار الرافدين».

فصل من رواية

أنجيليك*

صورة غلاف الرواية بالعربية

غيوم ميسو

باريس.
مستشفى بومبيدو.
الإثنين 27 كانون الأوّل (ديسمبر).
فجوة من الضوء في سماء مضطربة. تلك هي الصورة التي ولّدتها الموسيقى الطويلة لآلة التشيلو تموّجات مُنوّمة تحثّ على الاسترخاء. غارقاً في شبه غيبوبة، يشعر ماتياس بوتيرة نفسه وتغيّر لتتكيّف مع إيقاع اللحن. ثمّ لا يلبث أن يستسلم لهذه الرحلة الداخليّة، تؤرجحه النغمات ويغمره سكونٌ لم يعرفه منذ فترة طويلة. كانت التوهّجات والأحاسيس تتدفّق من الجسد المتكاسل على الرمال، القبّلات المالحة على الشفاه.
بيد أنّ هذا النعيم لن يدوم طويلاً. فالسماء المُلبّدة بالغيوم تنذر بعاصفة قريبة. مشاعر متنافرة تتشابك، تعايش مقلق بين اللامبالاة والاحتراس. فجأةً، انقطع الانسجام، كما لو أنّ قوس الآلة انزلق على الأوتار واندثر معه كلّ أمل باللذة.
فتح ماتياس تايفر عينيه.
كان مستلقياً على سرير في المستشفى، مكتسياً بأحد تلك القمصان القطنيّة الباهتة المروّعة التي تكشف عن مؤخّرة كلّ من تستّر بها. في ذراعه قسطرة مغروسة وُصل بها أنبوبان لنقل السوائل إليه، وعلى يساره جهاز تخطيط القلب الذي يظهر نبضات قلبه السريعة. رفيقه في الغرفة، الكهل على السرير المجاور، لم يكن قد استفاق من غفوته بعد. كلّما نظر إليه خالجه انطباع رهيب بأنّه وُضع في ركن الرعاية التلطيفيّة بدلاً من قسم أمراض القلب. حلّ الصوت المتقطّع والكئيب للمطر محلّ صوت التشيلو الدافئ والنابض بالحياة. وعوضاً عن المتوسّط، أغرق الأكفهرار الباريسيّ كلّ ما يلمسه بالظلام. كانت الموسيقى في منامه قد حملته، لبرهة، بعيداً عن المستشفى وأجوائها، غير أنّ ذلك الملاذ لا يلبث أن يستسلم لهذه الرحلة بصعوبة بالغة، عدّل ماتياس وسادته ليستقيم نصف استقامة. وإذا به يراها، مغمورة جزئيّاً بالظلّ: فتاة شابّة، جالسة بشكل منتصب على كرسيّ، وبين ساقيها آلة تشيلو. إذن، لم تكن الموسيقى نابعة من خياله. سألها متلعثماً:
– من أنت؟
– أدعى لويز. لويز كولانج.
بدا له من نبرة صوتها أنّها في آخر سنوات المراهقة، لكن لم يبدُ عليها الوجل البتّة.
– وماذا... ماذا تفعلين في غرفتي، يا لويز كولانج؟ أتعتقدين أنّها المكان المناسب للتدرّب على حفل المدرسة؟
– أنا متطوّعة في جمعيّة «موسيقيّون في المستشفى».
أخذت تدنو منه، فزمّ ماتياس عينيه ليراها بشكل أفضل. شعر أشقر طويل وناعم يحيط بوجه بيضاويّ، غمّازة على الذقن، كنزة بالياقة المسطّحة (كول كلودين)، تنّورة بأطراف واسعة مخمليّة، وجزمة من الجلد. شعلة أضاءت الظلمة التي خيّمت على سبات المستشفى.
– ألم تعجبك؟
– مقطوعة شوبرت؟ لا، لقد ألمت أسناني... وشعري.
– أنت تبالغ.
– ... وأيقظتني.
هزّت لويز كتفيها مُنزعجة.
– في العادة، يقدّر الناس هذه المبادرة.
– يقدّر المرضى أن يأتي أحد ويزعجهم في غرفهم في المستشفى؟
سحبت الفتاة الكرسيّ الجلديّ الأحمر بجانبه لتجلس عليه، ثمّ أوضحت:
– يُسمّى ذلك التحفيز الحسّي المضادّ للتوتّر. فالموسيقى تلهي المريض وبالتالي تخفّف من الامه.
همس وهو يهزّ رأسه:
– هذا هراء. أتظنّين نفسكِ طبيباً؟ أين قرأتِ ذلك؟
– في كتب الطبّ، طبعاً. أنا طالبة في السنة الثانية.
– ولكن كم عمرك؟
– سبعة عشر عاماً. لقد تخطّيت صفّين. إن كانت تحسب أنّها ستثير إعجابه... فتايفر ظلّ بارداً كالثلج. رأى في انعكاسات مقابض سريره المعدنيّة من الكروم أشلاء متحرّكة من وجهه المُتعب: شعر كثّ، صدغان رماديّان، لحية لم تُحلق منذ أسبوع، عينان زرقاوان دكناوان نهشهما الإرهاق.
– حسناً لويز، بما أنّك أنهيت حفلتك الصغيرة، يمكنكِ أن تغادرينا الآن.
أشار إلى السرير المجاور بإيماءة من ذقنه قبل أن يتابع:
– لا أظنّ أنّ لموسيقاك أدنى فرصة لإخراج جدّو هنا من تأثير الفورمول.
– كما تريد.
بينما كانت الفتاة تعيد آلتها الموسيقيّة إلى علبتها، أخذ تايفر يفرك جفنيه، منهكاً. كان قد نُقل إلى المستشفى في اليوم السابق بعد تعرّضه لنوبة قلبيّة بسيطة على ما يبدو، لكنّها تطلّبت سلسلة لا يُستهان بها من الفحوصات نظراً إلى تاريخه الصحّي وإلى خضوعه لعمليّة زرع. إذا جاءت نتائج الاختبارات جيّدة، فمن المحتمل أن يتمكّن من الخروج في اليوم التالي. بانتظار ذلك، عليه أن يعيش بضع ساعات أخرى في هذه الغرفة المشؤومة حيث يطفو شبح الموت.
لم يكفّ عن التفكير في كليه الذي بقي بمفرده في المنزل، وفي القطط الثلاث الذي حلّ على باريس مع نهاية هذا العام: أسابيع من الفيضانات والجوّ المكفهرّ، أفق مسدود طال أمده لدرجة أعطته انطباعاً أنّ الربيع لن يعود أبداً. والآن، هذه الفتاة التي لم ترغب في المغادرة...
– هل ما زلتِ هنا؟ صاح بها.
– دقيقتان! إنّني ارتّب أوراقي.
– أليس لديكِ ما هو أفضل من المجيء ولعب دور جاكلين دو بري في المستشفيات؟
هزّت لويز كتفيها.
– من هي جاكلين دو بري؟
– ابحثي عنها على الإنترنت. حقّاً، غادري هذا المكان الكئيب وقومي بما يتناسب مع عمرك.
– وما الذي «يتناسب مع عمري»، برأيك؟
– لا أعرف. اخرجي مع صديقاتك، تسكّعي مع الفتيان، اشربي حتّى الثمالة...
– ملهمٌ جدّاً.
خشّن صوته وقال:
– حسناً، هيّا الآن، إلى الخارج. اذهبي إلى المنزل إن لم يكن لديكِ أصدقاء أو صديقات.
– كم أنت غير ودود!
– لكنّكِ أنتِ من أتيتِ لتعكّري مزاجي! رفع صوته غاضباً.
حرّكت قرقرة طويلة أحشاءه. وضع يده على بطنه وبدت على ملامحه أمارات الاستياء.
– فضلاً عن أنّني أتضوّر جوعاً. هاك، إن كنت تريدين أن تكوني نافعةً حقّاً، فحاولي أن تجدي لي شيئاً أبتلعه قبل أن تغادري.
– سأطلب ذلك من الممرّضات.
– لا، لا، إيّاك! لا أريد الكومبوت المقيت الذي يعدّونه. ثمّة مقهى في بهو المستشفى اسمه «روليه آش». أحضري لي شطيرة لحم الخنزير والزبدة أو الخبز السويديّ بسمك السلمون.
– ما رأيك بكأس من البيرة أيضاً؟ أذكّرك بأنّ الملح مضرّ للقلب.
– افعلي ما أطلبه منك، رجاءً. سيسعدني ذلك أكثر من عزفك لمقطوعة شوبرت.
تردّدت لويز، ثمّ قالت:
– هل تبقي عينيك على التي؟
أومأ برأسه إيجاباً.
– لا تقلقي.

* فصل من رواية «أنجيليك» للفرنسي غيوم ميسو صدرت أخيراً ترجمتها العربية عن «نوفل ـ هاشيت أنطوان»

قصائد

صبية تنثر شعرها عبر النافذة

موسى بيدج*

1. كلمات

أكثر الكلمات احمراراً
عينا طفل
يرنو إلى دراجة صغيرة على الطريق
أكثر الكلمات اخضراراً
ابتسامة صبية
تنثر شعرها عبر النافذة
نحو مارة مجهولين
و أكثر الكلمات اسواداً
قلبي
المكتظ بقصائد لا تحبها
شرطة المرور!

2. الشرف الاحزن

إذا كنتُ ربّي
كنتُ ساجدّني
وكنتُ ساشتري لي دراجةً
قال الفتى أمام بيت الصفيح
إلى تلك الكردية الدائمة البنفسج، أمي... في ذكرى رحيلها
سيدة الحرير
عيونك
إذا كنتُ ربي
كنتُ اهديني ربيعاً بدل الخريف
قالها عجوزٌ
وكان جالساً على نهر لا يعود
إذا كنتُ ربّي
كنتُ كتبتُ قصيدة لا تموت
قلتها انا
في حضرة مولانا جلال الدين
وكان الله
منشغلاً
بخلع فتيل الهتافات
وسلب السكاكين
من سكّان الشرق الحزين
وكان السديم
يفترش الطرقات.

3. حب من الف عام

إلى تلك الكردية الدائمة البنفسج، أمي... في ذكرى رحيلها
سيدة الحرير
عيونك
تغزل ربيعاً صغيراً
لوجنتي
انت كتاب الصنوبر
بآلاف الأوراق
بمفردة واحدة
حُبُّ حُبُّ حُبُّ
بلا نهاية
أريد أن أكلمكِ عن الحُبّ
تعالي بثيابك الكرديّة
فعيون حسرتي
مُسَمَّرة على الباب
تحيك الضجر
تعالي..
ففي هذه الليلة
عيوني بندقيةٌ
تتمنى غزالاً
اصعدي السُّلم المنتظر
وامسحي بمنديلك
جبين القمر الغارق
في الحُمّى
فإنّه يبحث عنك
في خواطره
كجادةٍ زرقاء
أو درّاجةٍ
في زقاق طفولته
قولي امطر
لأمطر كغيمة
قولي احترقْ
لأحترق كنخلة
وقولي كنْ مُراً
لأحلو
مثل غابة البلوط
تعالي
وضعي شفاهك
على جبيني:
— الله يا موسى
ما هذه الحُمّى؟!
يفترض أن تكون ميتاً
من ألف عام.

4. طرفة إيرانية

ذهب أحدهم إلى مخفر الشرطة وقال:
— كان عندي ببغاء قد هرب!
قالوا له:
— هذا الأمر لا يخصنا
قال:
— أعرف ولكن جئت أقول لكم
لو رأيتموه يشتم الحكومة
فاعلموا أن هذا رأيه الشخصي!

* طهران

نصب فني في باحة مركز الفن في طهران

لا حيلة لمعالجة الكآبة

رضا احمد*

1- حظ المقامر

ذات يوم ستقول: «قد عشت!»،
وتقفز إلى الإسفلت
بملابس السباحة.

تجبر أحفادك على لعق جروحك،
كنوع من الاستسلام للطفيليات،
والجبّينات الكسولة.

يمر الموت بأناقته؛
سمكة قرش،
تقضم سربَ أيامك.
تبدأ بقلبك
ثم الضوء الذي يغذي عينيك!

تشكر الحياة؛
لأنها أعدّت حقيبتك بما يلزم،
من غسول أسنانك،
حتى!
الأسى،
الذي تتعطر به،
قبل حضور الجنازات.

النعاس يتسلل إلى عظامك؛
ليس عليك أن تمشي إلى الموت،
أو تستيقظ باثار بلل في سروالك.
ليس عليك أن تبكي،
كنت غارقاً تحت أنفاسك؛
وحدتك متجر يبيع الذكريات،
قرب مقبرة.
وحدتك؛
تاريخ سيء للنوم مع امرأة.
وحدتك؛
بخلاف الرجال،
بُحَّةُ طلمي، يحترق!

رغم الشقوق التي دعوتها،
إلى وجهك
تظل تتساءل:
هل كنت قبل ألف عام،
بزعانف زهرية،
وذيل قصير؟
أي حزن هذا،
الذي صنع منك رجلاً؟

كل شيء كان يقول:
«أنا هنا من أجلك!»؛
النكات التي تربي الدواجن،
على السخرة والفقد.
حقل الزجاج المنثور،
تحت قدميك،
إلى سريرك الأبدي.
دلو الغسيل الوسخ المدلوق،
بشتائمه فوق رأسك.
الحب الأعمى،
يمسك بلطة في أواخر حياتك،
يهذّب غصنك المتمرد،
وألف مذنة تحجب السماء.

2- رجل عادي وكئيب

لست مطلباً بالدمامة،
ولا مطلوباً في قضية غامضة.
لست فريداً،
لتموت بحسرات حيكت لخاطرك،
عجوز،
زير نساء،
وبغيض على نحو يجعلك فاتناً.
رغم هذا تفتقد إلى امرأة،
حملت سكيناً ووصفات غوغل،
لتخرج شظية من قلبك.
وبعدما شفيت منك،
بحثت عن طرق مثلى؛
لقتلك ونسيانك.

متقاعد،
شحاذ،
وابن كلب في قصيدة أخرى؛
كل ما تؤمن به هو رغيف خبز.
تسميه؛ حصتك الرسمية،
قريتك الضائعة،
وإلهك الصغير،
الذي تتقاسمه مع أربعة آخرين.

لص،
محتال،
وكيس لحم،
في ثلاجة أحدهم؛
ينقصك، قميص بقلوب صغيرة،
غابة من الإسمنت،
بقع كثيفة من الاستعارات
على وجهك،
سيارة شرطة تشهق باسمك،
وجوع يكبل يديك،
ويسقطك من السماء السابعة.

خائف،
مسكين،
وحارس مرمى معتزل؛
أنت موتور آلة الزمن الهشة.
لا بيت ولا سماء تكفلك؛
ترفع طرف ملاءتك،
ولا تجد بحراً.
تربي الأسماك فوق المناشف،
والواح الثلج تحت وسادتك،
تتسلق شجرة عائلتك؛
بحثاً عن إضاءة.
تزين صور أولادك بالتجاعيد،
وتضحك: رأيتكم تكبرون؛
ولا حيلة،
لمعالجة الكآبة.

تركت لك الحياة ابتسامة ضريح،
يتلقى الصلوات باكتراث
ومحية.
تكريماً لذكراك،
وضعوا إصبع ديناميت
فوق كعكة،
وكتبوا: هناك خسائر ممتعة.
على طريقة بروس ويلز؛
لا شيء يجعلنا،
نتقبّل المشاهد الدامية،
إلا الضحكات،
التي تغطي رائحة البارود.

3- عليك ان تلفّ بي

اعرف البيت من رائحة ضيوفه؛
أدرك أنني أسير داخل عظامك،
كما لو كنت ذلك الصمت اللعين،
الذي لا يجعلك تجلس مرتاحاً،
إلى امرأة سواي.

هكذا تحولت إلى أغنية، ثم طنين،
يشع من تحت عتبتك.
وقبل أمس،
كنت أظن أن وجهك،
يحدّج في الجدران
كرفقة سلاح بائسة،
غرقت تحت القصف.

الآن،
أدرك أنني أتعذب في جثة.

هذا نعاسك متروك بارقه،
على سريري.
هذا وقت صراخ المنبه؛
ولا يد فارغة تكتم أنفاسه.
وهذا صباحك،
تناولته على مضض بشتائمه،
وصراخ بائع الخبز والفول.
صالح للحياة،
أو للسير خلف امرأة؛
لن تستطيع أن تبني لي مقبرة،
بدأت من فمك،
ثم تجاويف قلبك.

النوم الغارق في البلاهة،
كان لقدميك،
مشي،
مشي،
ثم وقوف أمام وردة؛
وتذكّر؛ كيف كان طعمها السابق؟
خطرها المعطر؟
وماذا يفعل اسمها الناعم!
على أصابعك!

للخروج منك،
أو برفقتك؛
ماذا تفعل المسافات!
إلا أن تبقى الفريسة محاصرة،
والصياد في عطلة من الأمل.
يزيح الحشائش عن عينيه،
ويقرب الرصاصة من فمه.
يقرأ عليها أشواق وجبة كاملة،
يخفي في خُنْجرته،
قدراً من الخوف،
وأسماء توابله المحببة.

للخروج منك،
أو لصناعة فجوة في صدرك،
ماذا تفعل البنادق!
إلا أن تحطم حاجز الصمت،
في عظامك؟

4- قواعد اللعبة

لا تعرفين عن الحزن،
إلا الرائحة،
التي تسند قلبك،
كلما حاول الهروب مع رجل.

لا تعرفين عن الخوف،
سوى المشي برأس حجريّ،
والإزميل بأفكاره الباردة،
في يد شيخك أو والدك.

لا تعرفين عن نفسك،
غير وتر،
يسوق أصابعك إلى الكتابة،
كقطيع ذئاب يفتش عن الموت،
بأنياب فولاذية،
وعاطفة مأخوذة بمبيرات القمر،
ومن الشعر والغرق.

لا تعرفين عن أمك،
إلا المسافة إلى المرآة،
والوقت،
الذي يقفز بطفولته،
فوق الحبل السري للحياة،
وفقد يحتجب في كل صلاة.

لا تعرفين عن والدك،
سوى الطبقة العليا لصوته،
التي يربي فيها
برجيّ حمام،
وسكيناً.

لا تعرفين عن قدميك،
إلا الطريق،
الذي قاد الديناصورات،
إلى الانقراض.

لا تعرفين عن يديك،
سوى الكأس الملآن بالغواية؛
شوكة في منتصف خط العمر،
وأرشيف طويل
من حروق المصافحات.

لا تعرفين عن الإخلاص،
إلا الوحدة،
التي تنتظر قلبك الفارغ؛
لتؤنبه،
على حصيلته،
من الحكمة،
والبكاء.
لا تعرفين عن الابتسامة،
سوى الصمت،
الذي غمر العصافير،
قبل أن تنفلت،
زغاريد الرصاص،
من سجن البندقية.

لا تعرفين عن القسوة،
إلا اليد التي تحشو أضلعك،
بحكايات الفرار المبكر للدم،
والمخالب القابعة،
تحت،
سيرة الزفاف.

لا تعرفين عن حبيبك،
سوى الرقعة العمياء في وجهه،
التي يخبئ فيها عنكبوت،
جوعه ومهارته.

لا تعرفين عن الحب،
إلا العرق المالح،
الذي امتزج بريقه،
كما لو كان حضنه عجينة حلوة؛
شكلت ملايين النجمات.

وتعرفين كل شيء؛
عن وزنك الزائد،
رغماً عن أحلامك المفقودة.
وعينك، التي نزحت إلى السماء،
تقتات الدموع.

* مصر

الي هيلر ـ «كيفية محاربة الوحدة» (زيت على كتان ـ 35,5 × 30,5 سنتم ـ 2018)

سياسة

أليكس جوسكي: هكذا خدعت الصين النخب الأميركية

مصطفى شلش

يُقدّم كتاب «جواسيس وأكاذيب: كيف خدعت أعظم العمليات السرية الصينية العالم» (دار هاردي غرانت 2022 ـ Spies and Lies: How China's Greatest Covert Operations Fooled the World) دراسة لوكالة الاستخبارات الصينية، أو ما يُعرف بوزارة أمن الدولة. يرى مؤلف العمل الباحث الصيني الأسترالي اليكس جوسكي أن أعظم قوة لدى الاستخبارات الصينية، هي عمليات التأثير الناجحة على نطاق واسع ضد النخب السياسية والتجارية الأميركية وليس جمع أسرار عن الحكومة أو الشركات الأميركية. وفقاً لرواية جوسكي، فإن أي أسرار عسكرية أميركية استخلصتها الاستخبارات الصينية في العقود الأخيرة تتضاءل مقارنة بجهودها المذهلة والناجحة لخداع أعلى المستويات في عالم صناعة السياسة الأميركية بشأن أهداف وأولويات سياسة الصين الخارجية.

يبدأ جوسكي الحكاية من محاولة جورج سوروس اختراق الصين في الثمانينيات من خلال إنشاء صندوق الصين لدعم وتعزيز المجتمع المدني الصيني الناشئ. وقتها أصبح سوروس معروفاً بجهوده المماثلة في موطنه المجر، ثم في وقت لاحق في جميع أنحاء أوروبا الشرقية الشيوعية آنذاك. لكن على النقيض من مبادرات «المجتمع المفتوح» التي لعبت دوراً مهماً في أوروبا الشرقية ما قبل الشيوعية وما بعدها، قُوّض صندوق الصين الذي أسسه سوروس، ثم تمت استمالته بالكامل في وقت لاحق، من خلال عملية استخباراتية متطورة بقيادة الاستخبارات الصينية.

سعت الحكومة الصينية إلى إيقاف جهود سوروس، وخصوصاً في أعقاب تظاهرات «ميدان السلام السماوي» عام 1989. لكن بكين لم تستهدف إغلاق الصندوق، لكنّها أجبرته على الشراكة مع كيان صيني محلي كان في الواقع واجهةً يقودها أحد كبار عملاء الاستخبارات الصينية. وقد تمكن هذا الكيان الصيني من استخدام ارتباطه بسوروس للحصول على شرعية دولية ومحلية. اللافت في العملية الصينية ضد سوروس أنه شارك فيها ساسة وأكاديميّون ورجال أعمال أجانب، ولم تكتف العملية بالمراقبة فحسب. توسّعت اللعبة مع إنشاء مجموعات مجتمع مدني صينية، توهمت النخب الأجنبية أنه يمكن استخدامها للتعرف إلى الصين والتأثير على سياساتها.

يقدم جوسكي دليلاً على أن الاستخبارات الصينية امضت عقوداً في اختراق «مؤسسة السياسة الأميركية الصينية» (USCPF) لبناء علاقات مع كبار الخبراء الأميركيين في شؤون الصين. وكان كبار الأكاديميين الأميركيين في الصين، الذين تنقلوا ذهاباً وإياباً بين الأوساط الأكاديمية، ومراكز الأبحاث، ومجلس الأمن القومي، منتسبين إلى USCPF أو أعضاء في مجلس إدارته. وهكذا، يشرح جوسكي بالتفصيل كيفية إدخال عملاء الاستخبارات الصينية السريين الرئيسيين إلى عقول صانعي السياسات الأميركية والنخب الأكاديمية، مع اعتماد تكتيك استخباري يهدف إلى دمج العُملاء الصينيين سرّاً في التبادلات الأكاديمية مع أفضل الجامعات ومنظمات الأعمال الأميركية.

خلال التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اخترقت الاستخبارات الصينية كل المستويات الرفيعة للنخب الأميركية. نجحت عمليات التأثير في إحداث تغيير ملموس على سياسة الولايات المتحدة بدعم من شبكة النخب الأكاديمية ورجال الأعمال الأميركيين وحافظت السلطة الأميركية على سياسة المشاركة لفترة أطول مما ينبغي.

وفي ادعائه الأكثر أهمية، يزعم جوسكي أنّ السرد الذي شاع في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أنّ قادة الصين يسعون إلى «الصعود السلمي» على نحو لا يتحدى الولايات المتحدة، كان مخططاً متقناً لإدارة الأمن الاستراتيجي ولتهدئة صناع القرار في الولايات المتحدة ودفعهم إلى عدم الصدام مع بكين. هذه كانت إحدى الخطط الاستراتيجية للاستخبارات الصينية التي قدمتها عبر ما يعرف بـ «منتدى الإصلاح الصيني»، وهو مركز أبحاث صيني تعاملت معه النخب الأميركية باعتباره نافذة مؤثرة على تفكير الحكومة الصينية، وعمل المنتدى على تعميم هذا المفهوم واقنع النخب الأميركية بأن هذه هي السياسة الفعلية للحكومة الصينية.

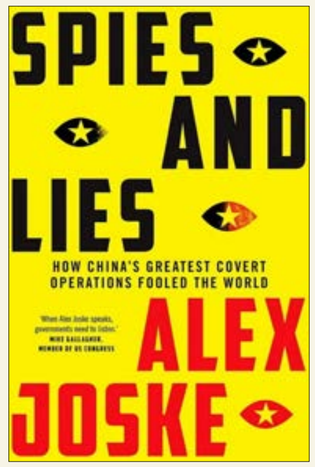

انشأ جورج سوروس في الثمانينيات صندوقاً لدعم المجتمع المدني في الصين

لقد سهّل مفهوم الصعود السلمي على الحكومة الأميركية الاستمرار في التعامل مع الصين كشريك والتركيز على التهديدات المختلفة في الشرق الأوسط وأماكن أخرى.

أخذت حكومة الولايات المتحدة رواية الصعود السلمي على محمل الجد أكثر من اللازم. لكن رغبة حكومتها في قبول هذا السرد، لم تتعارض مع مقاييس أخرى للسلوك الصيني. في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حين طُرح هذا المفهوم، لم تكن الصين تحدث الكثير من المشكلات في بحر الصين الجنوبي، وتوصلت في النهاية إلى تقارب مع الحكومة في تايوان، ولم تكن قد بدأت حتى بعمليات اقتحام منتظمة للمياه التي تسيطر عليها اليابان حول الجزر المتنازَع عليها.

إن صنّاع القرار السياسي في الولايات المتحدة، الذين يواجهون تهديداً إرهابياً عالمياً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ويتعاملون مع حربين في العراق وأفغانستان، قد يُغفر لهم قبولُ سرد الصعود السلمي على ظاهره. وهو يتناسب مع تفضيلاتهم السياسية وكان مدعوماً ببعض الأدلة على الأقل. وربما كان صنّاع القرار السياسي في الولايات المتحدة متأثرين بالاعتقاد بأن نوايا الصين كانت حميدة أكثر مما كانت عليه في الواقع. ولكن من المرجح أن تكون تفضيلات صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة قد دفعت حكومة الأخيرة إلى هذا الاستنتاج حتى من دون تأثير الاستخبارات الصينية.

من خلال الكشف عن تاريخ عمليات الاستخبارات الصينية مع النخب الأميركية، يُضاء على مصادر جهلها كثير من المحللين والصحافيين المعنيين بدراسة الحرب الباردة الجديدة بين الصين والولايات المتحدة. يكبّن تبدو لاعباً مجتهداً وأكثر ذكاءً من الآخ الأكبر للماضي (الاتحاد السوفياتي) في إدراك أهمية وديناميكية مراكز الأفكار ولوبيات التأثير داخل واشنطن، وبالتالي نجحت بشكل نسبي في اختراق أعلى دوائر صنع القرار في النخبة الأميركية.

وفي الوقت نفسه، لا تستطيع سياسات الولايات المتحدة أن تقطع كل علاقاتها مع المجتمع المدني الصيني في محاولة لقطع الطريق على الاستخبارات الصينية. تحتاج الولايات المتحدة إلى أكبر قدر من المعلومات والتبادلات مع الصين. وطالما أن صناع القرار في الولايات المتحدة والصين يدخلون الاجتماعات والمؤتمرات من دون تحيزات أو مؤثرات مُسبقة، سيكون هذا مُهماً للسلام بين البلدين.

لمحات

اياد عبد الرحمن

«بالنسبة إلي، لم أكن في حاجة إلى الكثير من الوقت حتى أستيقظ من خيالات طفولتي، وأجدني، بمحض المصادفة، مخصيّاً ومحشوراً داخل نسيج غليظ من الخيش تحمله أمي، كنتُ في التاسعة من عمري لما حملتني أمي على ظهرها المحدوب، بعيداً عن كل الأحلام التي أعرفها، وسارت بي صوب السكّة المسافرة شرق الحبشة». بعد صمت طويل، يعود أياد عبد الرحمن إلى الصالة الأدبيّة بروايته الجديدة «إهانة غير ضرورية» (منشورات تكوين). يتطرق الكاتب والمترجم السعودي في هذه الرواية إلى موضوع جديد في الرواية العربية، أو مختلف في زاوية المعالجة على الأقل، الا وهو التضحية بالذكورة لأسباب دينية بحت. تأخذنا الرواية في رحلة مع صبي حبشي تقوم والدته بإخصائه رغبة منها بالتبرك والتقرب إلى الله. بعد عملية الإخصاء الوحشية، يصبح بإمكان الطفل المسكين السفر للانضمام إلى الأغوات في المدينة المنورة أو مكّة المكرمة. وهم جماعة تكرّس نفسها لخدمة المشاعر المقدّسة، شريطة أن يكون أفرادها مخصيين. تنتقد الرواية بشكل غير مباشر هذه الممارسات غير الإنسانية التي أوقف العمل بها أواخر سبعينيات القرن الماضي بفتوى دينيةٍ أنهتْ ألف عامٍ من الجهل والظلم.

قدوري عبد الكريم

يعتبر «دعائم الأنثروبولوجيا: النظريات والمفاهيم الأساسية» (دار ابن النديم) للباحث الجزائري قدوري عبد الكريم مقدمة لعلم الأنثروبولوجيا، وهو علم غالباً ما يكون مجهولاً للطلاب والجمهور الجامعي. هو يُركّز على تعريف مفاهيم وأسس الأنثروبولوجيا، ويشرح مواضيعها ومناهجها ونظرياتها. على الرغم من أن علم الأنثروبولوجيا لم يكن معروفاً بشكل واسع إلا منذ وقت قريب، إلا أنه أصبح تخصصاً أكاديمياً مهماً جداً، يهدف إلى فهم تنوّع الثقافات البشريّة والتطور التاريخي للإنسان وكيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على حياة الناس. اليوم، تعتبر الأنثروبولوجيا علماً متميزاً بفضل طرائقها الدقيقة وأساليبها المتقدمة في البحث مثل الملاحظة الميدانية والمقابلات وجمع البيانات الثقافية. ورغم أنها ظهرت بعد العلوم الاجتماعية الأخرى، إلا أن جذورها تعود إلى العصور القديمة، وقد شهدت تطوراً ملموساً عبر التاريخ. تأثّر هذا العلم بالتوسعات الاستكشافية التي قام بها الرحّالة والباحثون في العالمين الغربي والعربي الإسلامي. ونتيجة لهذا التأثير، تغيّر الفكر الفلسفي ليستوعب تعدديّة المجتمعات والثقافات مع الأخذ في الاعتبار وحدة الجنس البشري.

وجدي الاهدل

«الحرب . لو يعلمون . لا تستعر نيرانها في أجواف المدافع، بل في قلوب الناس وأفكارهم أيضاً». تعبر رواية الروائي والقاص اليمني المعروف وجدي الأهدل «السماء تحتر السجائر» (دار هاشيت/ نوفل)، بالقارئ في محطّات مختلفة من تحوّلات اليمن وصراعاته من خلال شخصيّة البطل ظافر. تتوقّف الرواية عند أحلام فرقة مسرحيّة تشتّت ممثّلوها بعد الحرب التي مزّقت اليمن وجعلت من النجاة أكبر الأحلام. وتمرّ بالفساد الذي يُهمّش ابن البلد ويدفن مواهبه، بينما يرتفع بالغربي ذي الحظوة إلى أعلى الفرص والمراتب. ضمن بُنية روائية مُحكمة ومتعدّدة الأصوات، يُفرد الأهدل مساحة ليومَيّات الحرب اليمنيّة، ولحيوات المواطنين ممّن يواجهون خيارات الهجرات الجغرافيّة والأبديّة على السواء. يروي قصص بعض الشخصيات التي تقرر الهرب من جحيم الحياة عبر الاستغراق في الحبّ والعاطفة المشبوبة، على قاعدة العاشقين الشائعة بأن لا نجاة للإنسان إلا بالحبّ. تُبرز الرواية النساء اللواتي يظهرن في حياة ظافر وتأثيرهن الإيجابي على شخصيته من خلال تحفيزه على مقاومة مآسي البلد والمعارك التي لا تتوقف، والتمسك بالحبّ بوصفه النقيض للموت والحرب، أو أنه ترياق يقاوم الخراب.

عمر شبانة

يتحدث الشاعر الأردني عمر شبانة في «القرية والطفولة والإبداع... شهادات مبدعين عرب» (العائدون للنشر والتوزيع) عن حياة القرية من وجهة نظره وتجربته الشخصية. تتوزع مواد الكتاب بين ذكريات المبدع عن قريته، والتنظير لحياة القرية بجوانبها المختلفة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. تتنوع النصوص والشهادات بين الواقعي والفانتازي، بحيث نقف على أساليب عدّة في تناول العلاقة مع القرية وتأثيرها على الشاعر، ودورها في عملية الإلهام، نقرأ في الكتاب الذكريات الحميمة للعديد من المبدعين على المكان والزمان في قرية كلّ منهم، ونتعرف إلى ملامح من الحياة الاجتماعية في هذه القرية أو تلك. بهذا المعنى، يصحّ القول إن هذا الكتاب سيكون مرجعاً لكلّ مثقف ومهتمّ بعوالم القُرى والريف، وما تمثّله في عالم الاجتماع بأبعاده المتعددة والمختلفة، وعلاقة ذلك كله بالميدع وطفولته وإبداعاته. شارك في الكتاب: محمود شقير، ثورة حوامدة، إبراهيم أبو هشهش، حكمت النوايسة، فيصل الزعبي، عبد القادر الحصيني، أكرم قطريب، حسب الشيخ جعفر، عبد الكريم كاصد، طالب عبد العزيز، المنصف الوهايبي، صلاح بوسريف، حكيم عنكر، رفعت سلام، أحمد اللاوندي.

صن مي هوانغ

تتجلّى معجزة الريف بأبعادها الإنسانية في «معجزة تلّ الكرز... أزمة في الحديقة الخلفية» (2019) للكاتبة الكورية الجنوبية الشهيرة صن مي هوانغ. الرواية التي انتقلت أخيراً إلى لغة الضاد (دار ثقافة للنشر . ترجمة منار أحمد الديناري)، تحكي قصة العجوز «كانغ» الذي يبتاع منزلاً كبيراً ليتقاعد بسلام ويعوّض عن طفولته البائسة وأيام الفقر والعذاب التي قاساها. في الماضي، كان كانغ يعيش في مخزن متهالك في حديقة منزل الآنسة «سونغ» حيث يعمل والده، الذي تُوفي بسبب أرجوحة سخيفة. كبر كانغ وأصبح ميسوراً وتمكّن من شراء المنزل وعاد إليه بعد إصابته بورم في الخ، وشيّد سياجاً هائلاً حول ممتلكاته لحمايتها. مع ذلك اكتشف أن الجميع يدخلون ويخرجون من حديقته باريحية تُعتبر رواية «معجزة تلّ الكرز» مساحة لتخليد الذاكرة الشخصية، ودرساً في حتمية انتصار الخير على الشر، وتغليب الطبيعي على المصطنع، وتحرّر الحاضر من رواسب الماضي. أرست المؤلفة في هذه الرواية الشيّقة مبدأ التكافل الاجتماعي حيث كان «تلّ الكرز» يعاني من أزمات تنموية ويحتاج إلى حلول تضامنية لإنقاذه بدلاً من بناء السياج والأسوار العالية.

نبيلة احمد علي

تتناول نبيلة أحمد علي في «تأويلية بول ريكور وتجديد المنهج النقدي العربي: ذخيرة الشاعر علي عبد الله خليفة نموذجاً» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت) موضوع نظرية التأويل، التي أصبحت محط اهتمام واسع من قِبَل النقّاد بسبب أهميتها البالغة في فهم التحديّات الكبيرة التي يُواجهها العالم المعاصر على مستوى اللغة والخطاب. تُقدّم الباحثة السورية عرضاً لنظرية التأويل، استناداً إلى أفكار الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (1913-2005)، الذي ربط بين الفلسفة والنصوص وحياة الإنسان. وجعل من التأويل وسيلةً لفهم أعمق للوجود والحياة. استخدمت الباحثة أعمال الشاعر البحريني علي عبد الله خليفة (1944) كنموذج تطبيقي لنظرية التأويل، لأنه يتميّز بتراث شعري ضخم. وتشير الباحثة إلى أنه كان من بين أوائل الشعراء الذين استخدموا اللهجة العامّيّة بشكل متقن في شعره، وقدّم مواد غنيةً تحمل دلالات شعرية وفكرية تتجاوز التسلسل الزمني للأحداث، وتعيد تشكيل الزمن النفسي للوجود على مستوى الحقيقة.

حكايات

بلال فضل يؤرّخ للصحافة المصرية و«حواديت» القاهرة

أحمد فوزي

رغم أن أكثر ما جاء في كتاب «ماذا صنع الله بعزيزة بركات؟» يعود إلى ما قبل ثورة 25 يناير 2011 في مصر، تلك الفترة التي نتج عنها خروج الناس إلى الشوارع، إلا أن معظم ما دوّنه الكاتب والسيناريست المصري بلال فضل (مواليد 1974) في هذا الكتاب من خلال حكاياته أو قصصه، يمكن أن يحدث في 2023 بشكل عادي جداً، وربما تزيد الأحداث في فظاظتها وخروجها عن المألوف والمعروف والقانون طبعاً.

الصحافة كان لها النصيب الأكبر من حكايات كتاب «ماذا صنع الله بعزيزة بركات؟» الصادر حديثاً عن «دار المدى». من خلال ما حكاه فضل عن مهنة الصحافة في مصر، يمكن أن يكون الكتاب بمثابة أرشيف لهذه المهنة قبل ثورة 25 يناير وإلى الوراء حتى منتصف التسعينيات حين احترف بلال المهنة قبل أن يتخرّج في كلية الإعلام في جامعة القاهرة.

التعامل مع هذه القصص كونها «أرشيفاً»، يأتي في وقت تريد فيه وسائل الإعلام محو أرشيفها القديم، وخصوصاً في مصر. فمَن تحدث وصرّح بكلام محدد قبل 2011، لا يريد لمَن حكموا بعد الثورة أن يعرفوا ماذا قال؛ ومن تحدث بعد عام 2011، لا يريد لمن يحكمون منذ 2014 أن يعرفوا ماذا قال عنهم قبل ذلك. لذلك تخلصت أكثر من صحيفة مصرية من أرشيفها القديم على الإنترنت. مثلاً، يتطرق بلال فضل في حكاية بعنوان «في صحبة حرامي الأنبوبة» إلى أزمة إقفال جريدة «الدستور» الأولى عام 1998 بقرار من الرئيس الأسبق حسني مبارك بعدما شكا له أحد رجال الأعمال ما تكتبه الصحيفة.

كذلك، يتوقّف عند كيفية التعامل مع الصحافيين في النيابات العامة عند التحقيق معهم. كما يسرد حكاياته عن الحوارات الصحافية والعمل في الكتابة لصالح صحافية أخرى ـ تنشر الموضوعات باسمها ـ خلال فترة دراسته الجامعية، وكيف كانت تصدر صحف هامة في مصر بترخيص من قبرص لصعوبة الحصول على الترخيص المحلي من القاهرة. هذا ما جعل هذه الصحف تستعين بموظف من الرقابة يأتي للصحيفة نفسها لكي يراجع الموضوعات بنفسه، قبل أن تذهب إلى الصحيفة للرقابة نفسها قبل الطباعة؛ أي أنّ الرقابة كانت فاسدة وما «بالبيد حيلة».

ما حكاه بلال فضل عن الصحافة الورقية في حكايات «فخ الاستسلام للمرارة أو حالة الأستاذ عبد الحميد»، و«أنا والرجل الأخضر» و«كوكو واوا في نيابة أمن الدولة»... كلها تفاصيل شيقة، لكنّها أيضاً تؤرخ لعالم أصبح خفياً الآن عقب انتشار الإنترنت. ربما المشترك الأهم في ما حكاه عن الصحافة في مصر قبل 2011 أنّ الصحافيين لا يزالون يذهبون إلى السجن بشكل عادي جداً، أو إلى المنفى كما فعل بلال فضل نفسه الذي يعيش خارج مصر منذ سنوات، مكتفياً بالحديث عنها في مقالاته أو الفيديوات التي ينشرها على منصات التواصل الاجتماعي بشكل دائم.

لا تسير الحكايات/ القصص دائماً كما تتوقع، فحكاية «عم صلاح والتلفزيونه اللعين» عن تلفزيون الممثل المصري صلاح السعدني الذي كان يعتز به كثيراً حتى لحظة سرقته من شقته في الإسكندرية، لا تنتهي على المنوال نفسه الذي بدأت به. بل إنّها تذهب إلى قصة أخرى، ربما هي أقسى في تفاصيلها.

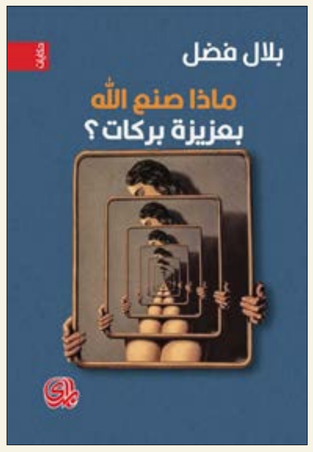

عزيزة راقصة أعجبته أثناء تمثيلها أحد أفلام الأبيض والأسود

ورغم أن القصص حقيقية، لكن الكتاب يحفل بتفاصيل يغزلها بلال فضل بقلمه بأسلوب شيق يجعل القارئ يشعر أنه يشاهد فيلماً لبلال نفسه كما في حكاية «المجني عليها». هنا، يحكي عن ممثلة في بداية مشوارها الفني، وتكاتف الجميع لتقديمها في دور ما في فيلم يكتبه بلال فضل، لكن هذه القصة تتخذ منحى آخر وتتصاعد أحداثها حتى مقتل الممثلة على يد ضابط أمن دولة أجير لصالح أحد رجال الأعمال! بالطبع يعرف العالم العربي الآن من هي هذه الممثلة ورجل الأعمال والضابط!

وما بدا لك خيالياً في بداية الكلام، تكتشف بعد قراءة عدد من الصفحات أنه حقيقي تماماً، وخصوصاً حين تمرّ الحكاية على أشخاص وأماكن معروفة متعلقة بحياة بلال فضل الصحافية، وتنقله بين كتابة المقال الصحافي والسيناريو السينمائي، ثم الجمع بينهما في فترات معينة. يطغى الأسلوب «السينمائي» على كتاب «ماذا صنع الله بعزيزة بركات؟». تقدم الحكايات تصورات كاملة عن الشخصيات المذكورة وخلفياتها التاريخية والاجتماعية، كل هذا يضفره الكاتب بلغة سهلة تجعل من اليسير على أي قارئ، وإن كان بعيداً عن عالم الصحافة، أن يستمتع بصفحاته، ولمَ لا وبلال فضل كتب قرابة 16 سيناريو أشهرها في السينما «واحد من الناس» و«خارج على القانون» اللذان أدى بطولتهما الممثل المصري كريم عبد العزيز في عامي 2006 و2007 على التوالي.

أما عزيزة بركات، التي استعان باسمها بلال فضل في عنوان كتابه، فهي راقصة أعجبته أثناء تمثيلها في أحد أفلام الأبيض والأسود المصرية. يحاول فضل كصحافي أن يعرف قصة حياتها، فيأخذ لها صورة من التلفزيون «غير واضحة المعالم» ويبدأ عملية البحث عنها.

يلتقي بمن يحكي له حكايتها كاملة، وهي حكاية ممتعة، حتى إنك كقارئ ستتراح لأنه أخيراً وصل إلى هذه الراقصة وعرف تفاصيل حياتها بعد معاناة لمدة سنوات، قبل أن تفاجأ بأنّ عامل الكلاكيت الشهير الذي سرد حكايتها وينقلها عنه الكاتب أراد هو الآخر أن يؤلّف قصة باعتبار أن «التأليف ليس حكراً على السيناريست».

ورغم أنّ بعض الحكايات قدمه بلال فضل قبلاً في مقالات أو حلقات مصوّرة عبر قناته على يوتيوب (أسّسها عام 2022 ليبتعد تماماً عن الرقابة)، إلا أنّ وضعها في كتاب واحد جاء موفقاً أشعر قارئه بأنها حكايات كُتبت في فترة واحدة ولغرض واحد وهو النشر في هذا الكتاب لأنها تسير خلف بعضها باتساق شديد. هكذا، ينتقل القارئ من حكاية إلى أخرى، وقد بدأ يعرف أن ما بدأ به الكاتب الحكاية لن يسير في إطار واحد، بل إنّ هناك ما سيقلب الدنيا رأساً على عقب دائماً، ويفاجئ بلال فضل نفسه ومن ثم قارئه.

روايات

إبراهيم نصر الله يستدعي الطفل الكامن فينا

منير الحايك

من قرأ «طفولتي حتى الآن» وعرف من كاتبها إبراهيم نصر الله أنّ حكاية جدّه سترّوى في روايته القصيرة القادمة «شمس اليوم الثامن» (الدار العربية للعلوم ناشرون 2023)، ذلك الجدّ الذي مرّت قصة حبّه مروراً سريعاً في خدمة حكاية «إبراهيم» الصغير، الذي لم يتحدّث خلال النصّ سوى في الشعر الشعبيّ الفلسطيني، سيبدأ بقراءة الرواية ظنّاً منه بأنّها ستبدأ مع قصة الحبّ ذلك الشاعر المتيّم. ولأنّ الغلاف تضمّن عبارة «يُسمح للكبار بقراءتها»، يأتي الإيهام بأن قصّة حبّ الجدّ ستكون فكرة الكتاب، وأنّ إباحيةً ما سأُحكى في تلك الحكاية. ولكن، لا... لن نقرأ قصة حبّ ذلك الجدّ، بل حكايته قبل أن يُولد!

عنوان النصّ يثير تساؤلات كثيرة حول الغاية منه: هل هي رمزية يردّها الروائي، وهو الشاعر المعروف، إلى الموروث الديني في العهدين القديم والجديد، حيث اليوم ورقمه، والله الذي استراح في اليوم السابع بعد خلق الكون؟ أو المسيح الذي قام في اليوم الثالث بعد الصلب والفداء؟ تكون قصة الجدّ، المندرجة تحت مشروع «الملهاة الفلسطينية»، فيها ردّ من نوع ما على ذلك الموروث؟ تبدأ بالقراءة، فتلاحظ أنّ أمراً جديداً، رمزيّاً عجائبيّاً، حكَمَ الرواية. لكن يبقى اليوم الثامن وشمسه بعيدان من الفهم.

نجد في الرواية ما يمكن تسميته تناصّاً بين هذه الرواية وروايتَي رشيد الضعيف الأخيرتين، فكأنما هذه الروايات تلجأ إلى أساليب الأساطير والخرافات لتوصل حكايةً ما، تحمل فكرة ما، وقضية ما... وهنا لن نخوض في المقارنة، لكن سنبقى مع نصرالله، الذي لجأ إلى القصة الشعبية، في قالب روائي، ليُهدي نصّه إلى أمه تكريماً لها بعد موتها. حكاية الجدّ تبدأ قبل أن يولَد، فنجده يملك جَمَلاً «ليس ككل الجمال». تنبت نخلةٌ في خُرجه، فتطول وتطول، من ثم تُرمى ببعض التراب طمعاً ببلحها، فتنشأ قطعة أرضٍ فوق سعفاتها، وتمتدّ حتى تصبح أرضاً كبيرة بتربة خصبة، يزرعها ذلك الفتى، علي، كل عام نوعاً مختلفاً. ولأنه لم يُولد بعد، يقرّر خوض رحلة البحث عن أبيه وأمه، ساكناً في خيمة في أرضه العالية، تزوره العصافير وتحدّثه كل يوم.

هي حكاية شعبية، خرافية، عجائبيّة، عن جمل يحمل نخلة تحمل أرضاً، اسمها الأرض «العالية». لكن في النهاية يستقرّ الفتى الذي لم يولَد بعد في قرية «الهادية»، حيث يجد جدّته بداية فيحبّها ويتمنّاها جدّةً، ثمّ يكتشف ابنها «خليل» الذي تمنّاه أباً، إلى أن يلتقي بالأم في النهاية فينفّذ خليل طلبها، بأن يهديها ويهدي بيتها «النور» ليحظى بها في منافسة قروية، وينتهي النصّ بولادة الطفل أخيراً، ولبقائه بعد أسبوعه الأول بطائر الشمس الفلسطيني الذي حزن وأرض وطيور، ومحبّةٍ ممن حوله، ولا بدّ من أن يولَد إن هو استطاع أن يأمه كلها، وأباه، وستشرق شمسه في الرجولة قصة تُطفئ تُعايش مراحل لوالدها، وهو الذي استطاع رفع حصان؟ أمر جائز. وهل في قصّة «فكرة» هي فكرة المولود قبل أن يولَد، وكيف يكون قبل الحمل وفي أثنائه، فكرةً لدى الأهل تحمل معها من الآمال والأحلام الكثير؟ أمر جائزٌ أيضاً. أم هي قصّة «وطن» لم يولَد بعد ولكنه بات جميلاً مع ما يملك، من جَمَلٍ ونخلةٍ وأرض وطيور، ومحبّةٍ ممن حوله، وما بدا لك خيالياً في بداية الكلام، تكتشف بعد قراءة عدد من الصفحات أنه حقيقي تماماً، وخصوصاً حين تمرّ الحكاية على أشخاص وأماكن معروفة متعلقة بحياة بلال فضل الصحافية، وتنقله بين كتابة المقال الصحافي والسيناريو السينمائي، ثم الجمع بينهما في فترات معينة. يطغى الأسلوب «السينمائي» على كتاب «ماذا صنع الله بعزيزة بركات؟». تقدم الحكايات تصورات كاملة عن الشخصيات المذكورة وخلفياتها التاريخية والاجتماعية، كل هذا يضفره الكاتب بلغة سهلة تجعل من اليسير على أي قارئ، وإن كان بعيداً عن عالم الصحافة، أن يستمتع بصفحاته، ولمَ لا وبلال فضل كتب قرابة 16 سيناريو أشهرها في السينما «واحد من الناس» و«خارج على القانون» اللذان أدى بطولتهما الممثل المصري كريم عبد العزيز في عامي 2006 و2007 على التوالي.

أما عزيزة بركات، التي استعان باسمها بلال فضل في عنوان كتابه، فهي راقصة أعجبته أثناء تمثيلها في أحد أفلام الأبيض والأسود المصرية. يحاول فضل كصحافي أن يعرف قصة حياتها، فيأخذ لها صورة من التلفزيون «غير واضحة المعالم» ويبدأ عملية البحث عنها.

يلتقي بمن يحكي له حكايتها كاملة، وهي حكاية ممتعة، حتى إنك كقارئ ستتراح لأنه أخيراً وصل إلى هذه الراقصة وعرف تفاصيل حياتها بعد معاناة لمدة سنوات، قبل أن تفاجأ بأنّ عامل الكلاكيت الشهير الذي سرد حكايتها وينقلها عنه الكاتب أراد هو الآخر أن يؤلّف قصة باعتبار أن «التأليف ليس حكراً على السيناريست».

ورغم أنّ بعض الحكايات قدمه بلال فضل قبلاً في مقالات أو حلقات مصوّرة عبر قناته على يوتيوب (أسّسها عام 2022 ليبتعد تماماً عن الرقابة)، إلا أنّ وضعها في كتاب واحد جاء موفقاً أشعر قارئه بأنها حكايات كُتبت في فترة واحدة ولغرض واحد وهو النشر في هذا الكتاب لأنها تسير خلف بعضها باتساق شديد. هكذا، ينتقل القارئ من حكاية إلى أخرى، وقد بدأ يعرف أن ما بدأ به الكاتب الحكاية لن يسير في إطار واحد، بل إنّ هناك ما سيقلب الدنيا رأساً على عقب دائماً، ويفاجئ بلال فضل نفسه ومن ثم قارئه.

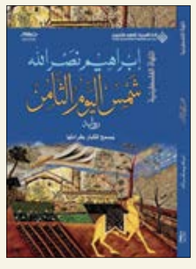

العنصر الأبرز هو «فلسطينيّة» النصّ بشخصياته وفضاياه

بزوغ شمس اليوم الثامن... هل تحكي الرواية قصة تُطفئ تُعايش مراحل الرجولة لوالدها، وهو الذي استطاع رفع حصان؟ أمر جائز. وهل في قصّة «فكرة» هي فكرة المولود قبل أن يولَد، وكيف يكون قبل الحمل وفي أثنائه، فكرةً لدى الأهل تحمل معها من الآمال والأحلام الكثير؟ أمر جائزٌ أيضاً. أم هي قصّة «وطن» لم يولَد بعد ولكنه بات جميلاً مع ما يملك، من جَمَلٍ ونخلةٍ وأرض وطيور، ومحبّةٍ ممن حوله، أما العنصر الأبرز، وهو «فلسطينيّة» هذا النصّ بشخصياته وفضاياه، فلم يكن على الكاتب أن يبذل جهداً كبيراً، وإن لم تكن قضية فلسطين التي اعتدنا قراءتها تاريخاً وجغرافيا ومقاومة وهزائم وانتصارات، فهي قضية أبنائها الذين يحلمون ويفرحون ويحزنون ويتخيّلون ويزرعون ويحصدون... أبناؤها الذين لا بدّ من أن تكون اختياراتهم بأيديهم كما اختار عليّ خليلاً أباً والفتاة -الملكة- أمّاً، وأن تكون البلاد لهم وأن يرفعوها نحو السماء لحمايتها إن تطلّب الأمر ذلك، كما رُفعت أرض الطفل الذي لم يولَد بعد على نخلةٍ يحملها جمل.

إنها رواية من النوع الممتع، بسيطة وثريّة في جملة أو اثنتين، تقسيم فصولها القصيرة جدّاً جاء داعماً لهذه السلاسة والعذوبة في السرد. ولأنّ الموضوع شبيه بقصص الأطفال الخرافية، حول طفل لم يولَد بعد، يجد القارئ نفسه أثناء القراءة أمام سؤال: «هل هي قصة لنا أم لنقرأها لأطفالنا؟». هي بالفعل تقرؤها أمّ لأطفالها، لتتبيّن المقصد الحقيقيّ وراء كتابة هذه الرواية، ووراء العبارة على الغلاف «يُسمح للكبار بقراءتها». كانّ العبارة تنقصها كلمة «أيضاً»، فهي قصة للأطفال، ولكن للأطفال الذين في دواخلنا نحن الكبار، حتى نتذكّر العودة إليهم بين وقت وآخر، فلا ضير هي همومنا، الشخصية والوطنية، أن نعود أطفالاً نلهو ونحلم ونتوهّم، فالوهم ملاذٌ آمن لعودة الدهشة!

أوراق

باسم خندقجي
وجه بلون الأرض، قناع بلون السماء

عبد الرحيم الشيخ

الأسير باسم خندقجي، المولود في مدينة نابلس المحتلة في سنة 1983، هو عضو في اللجنة المركزية لحزب الشعب الفلسطيني، وأحد أبرز مفكّري الحركة الفلسطينية الأسيرة. تتنوّع نتاجاته بين الكتابة الإبداعية، شعراً ورواية، والكتابة الفكرية، السياسية والتاريخية والنظرية، وبخاصة في مجال دراسات السجن. وقد اعتُقل في 2 تشرين الأول (أكتوبر) 2004، وحُكم بالسجن المؤبّد ثلاث مرات بتهمة العمل الفدائي خلال انتفاضة الأقصى. ولا يزال على قيد الأسر في قسم العزل الجماعي في سجن «عوفر» الصهيوني قرب بيتونيا جنوب-غرب مدينة رام الله المحتلة. وعلى الرغم من انقطاع مسيرته الأكاديمية كطالب في قسم الصحافة والإعلام في «جامعة النجاح الوطنية» على إثر الأسر، فقد تمكّن خندقجي من الحصول على درجتَي البكالوريوس والماجستير في «الدراسات الإقليمية-مسار الدراسات الإسرائيلية» من جامعة القدس (2016)، بإشراف القائد الوطني مروان البرغوثي في «جامعة هداريم»، ويعمل حالياً على استكمال دراسة الدكتوراه وهو في الأسر. ينشر خندقجي أبحاثه في مجلة الدراسات الفلسطينية، وقد أصدر مجموعتين شعريتين، هما: «طقوس المرّة الأولى» (2009)، و«أنفاس قصيدة ليلية» (2013)، فيما أصدر خمس روايات، هي: «مسك الكفاية: سيرة سيِّدة الظلال الحرّة» (2014)، و«نرجس العزلة» (2017)، و«خسوف بدر الدين» (2019)، و«أنفاس امرأة مخذولة» (2020)، و«قناع بلون السماء» (2023)، فيما لا تزال مخطوطة «محنة المهبولين» برسم النشر.

في عمله الأخير «قناع بلون السماء»، يبلغ خندقجي ذروة الإتقان في مشروعه الروائي عبر «وجه» المواطن الفلسطيني الأصلاني و«قناع» المستوطن الصهيوني المستعمِر. في الخط الحكائي ومستويات الهندسة السردية، يفصح خندقجي عن نضج لافت في التركيب الفني، ويوزِّع حصيلته المعرفية الموسوعية على سبر القضايا التاريخية والسياسية والأخلاقية التي تتموضع المأساة الفلسطينية في القلب منها. تحكي الرواية قصة بطلها «نور الشهدي»، وهو اللاجئ من مدينة اللد المحتلة في مخيم غير مسمّى قرب مدينة رام الله المحتلة، والباحث في حقل الآثار لاجتراح فتح جديد في سيرة مريم المجدلية. وتشاء الصدف أن يعثر «نور» على بطاقة هوية زرقاء لمستوطن، يصير البطل «النقيض» في الرواية، يُدعى «أور شابيرا» في جيب معطف اشتراه من سوق العتق في مدينة يافا المحتلة بعدما نجح في الهروب من «شرطة الاحتلال» خلال عمله بلا تصريح في فلسطين المحتلة في عام 1948. تلمع فكرة انتحال الهوية في ذهن «نور»، ويسجِّل في بعثة أميركية يقودها «معهد أولبرايت» لأبحاث الآثار تستهدف موقع «أبو شوشة» الذي أقيم عليه «كيبوتس مشمار هعيمق» غربي مرج بن عامر في فلسطين المحتلة. وخلال التنقيب، يتعرَّف إلى «سماء إسماعيل»، الحيفاوية التي تردُّه إلى «رشده» في ضرورة الاحتفاظ بوجهه الفلسطيني ونبذ قناعه الصهيوني خلال مهمته المستحيلة في كشف سر مريم المجدلية... ويعزز من جهود حبيبته الفلسطينية الجديدة صوت رفيقه الأسير مراد، الذي يلازمه، ويبدو كمعادل موضوعي للروائي نفسه، على امتداد الرواية التي يمكن تكثيفها دراماياً في ثلاثة أداءات: وجه، وقناع، وكشف.

تعرِّفنا رواية خندقجي بشاعر وروائي ومنظِّر يدشِّن منحنى تعويضياً للحرية على المستويات النفسية والثقافية والسياسية والأخلاقية وفي إطار جمالي يعزِّ نظيره في كتابات الحركة الفلسطينية الأسيرة. يصعد خندقجي درجة أخرى في مشروعه الثقافي (القناعات) ومشروعه الجمالي (الأقنعة) وهو ينجز مشروعه الأخلاقي (خلخلة القناعات ونزع الأقنعة). ينشغل الروائي في صناعة الأقنعة (تعمية العلاقات)، وينشغل الشاعر في وصف الوجوه (تعرية العلاقات)، وينشغل المنظِّر في الترافع عن جدارة الوجوه بنزع الأقنعة (تهديم علاقات وتدشين أخرى في معركتَي الجوهر والوجود بين الضحية وجلّادها). وفيما يبدو خندقجي مقتنعاً بنصيحة محمود درويش الشعرية «لا تكتب التاريخ شعراً»، لا يبدو مقتنعاً تماماً بنصيحة إلياس خوري الروائية بأن «على الفلسطينيين أن يحوِّلوا تاريخهم إلى تاريخ». ولذا، تزجُّنا روايته في متاهة التصنيف، غير الضروري على أي حال، بين كونها رواية سيرية/«رواية الذات»، أو رواية تاريخية/«رواية الآخر»، أو

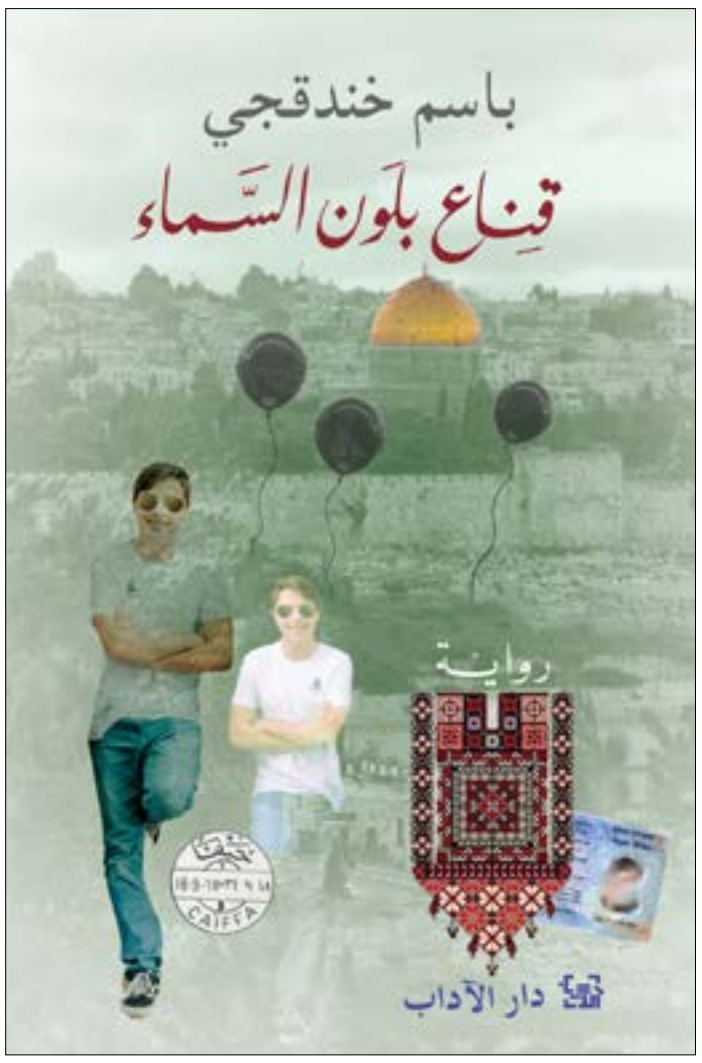

رواية معرفية «رواية السجال بين الذات والآخر» الاستعماري، السجال الذي تحمله المقولات الفنية والسياسية والثقافية.

تختلط في الرواية أربعة أصوات: الروائي «باسم»، والراوي-الحاضر «نور»، والراوي-الغائب «مراد»، والقناع «أور». وتشترك الأصوات الأربعة في تدشين مقولة الرواية على امتداد ثلاثة أزمنة حكائية: تاريخية، وراهنة، ومستقبلية. يحرص خندقجي على خلق شخصية مظهرية تشبهه لدى البطلين «نور» و«مراد»، وحتى لدى البطل النقيض «أور» الذي كان لا بد له أن يشبهه ليصير قناعه. فهؤلاء الثلاثة يشبهون «باسم»، مظهرياً ومعرفياً، وإن اختلفوا عنه في تعبيراتهم السياسية والثقافية والأخلاقية. وبالتالي، فالرواية حقل دومينو مرصوف بالأقنعة: الأرض قناع، والتاريخ قناع، والدين قناع، واللغة قناع، واللكنة قناع، والاسم قناع... وفي لفتة فقه-لغوية، يلمِّح خندقجي إلى أن القناع هو مسخ لصاحبه الذي تم تحويله إلى محض قناع، فكلمة قناع بالعربية تعني «مساخ» بالعبرية، ومن جذرها الثلاثي يمكن استدراج كلمة «مسخ». وقد تمكّن خندقجي في الرواية وببراعة من مسخ «أور»، الذي حتى اسمه بالعبرية يعني «نور»... ولكن خندقجي، في المقابل، لقّن «نور» نفسه درساً عبر «سماء» مفاده أن قول الحقيقة الفلسطينية لا يحتاج إلى قناع أبيض بلون جلد المستعمِرين ولا هوية زرقاء بلون السماء المستعمَرة. فالقناع يمسخ من يرتديه بأكثر ما يمسخ من يشبهه. وفي هذا السياق، أضفت «البطاقات الصوتية» التي تحمل مقولات الأسير «مراد»، مسحةً ذهنية غير ضرورية على السرد. لكنّ تلك «البطاقات» (وهي فقرات تتضمن رسائل فعلية من الأسير «مراد» لرفيقه «نور» وأخرى متخيّلة يديرها «نور» مع نفسه) كانت حاضنة لتداخل أصوات الراوي والروائي

> اعتُقل عام 2004 وحُكم بالسجن المؤبّد ثلاث مرات بتهمة العمل الفدائي خلال انتفاضة الأقصى

والبطل والبطل النقيض. تعمل «البطاقات» كعتبات فنية بين التعريف والمعرفة، إذ إنها تعمل: أولاً، كعتبة تواصل بين الروائي «باسم»، والراوي الأول «نور»، والراوي الثاني «مراد». وثانياً، على وَقْعَنَة الرواية، أي جعلها واقعية، عبر التأطير السياقي وربط أزمنة السرد بين سيرة مريم المجدلية (العقدة) وسيرة سماء إسماعيل (الحل). وثالثاً، تشكّل مساراً، يسلكه الروائي بين العقدة والحل، باستخدام «الكولاج» الذي يحيل السرد إلى «متروشكا» كتابية تغري القارئ بمواصلة البحث عن مريم المجدلية في الرواية التي داخل الرواية.

لقد عملت هذه التقنيات الفنية كرافعة أساسية للمقولات الثقافية التي تقترحها الرواية، وأهمها: أولاً، أن الفلسطيني، المحروم من الجغرافيا التي سيطر عليها المستعمِر الصهيوني، لا يمكنه استعادتها ولا استرداد المعرفة عنها إلا بانتحال «أدوات السيد لهدم بيت السيد»، عبر تحويل «حضوره» الاستعماري إلى محض قناع: الاسم، واللكنة، واللغة، والمعرفة، والتاريخ. والثاني، أنّ الفلسطيني (الروائي الأسير في هذه الحالة) في وسعه أن يُجلس المقولات النظرية على رأسها حين يتعلق الأمر بثنائية المستعمِر والمستعمَر. فقد استبدل خندقجي أداة السؤال الذي طرحه محمود ممداني وفاعله «متى يصبح المستعمِر أصلانياً؟» ليصير «كيف يمكن للأصلاني أن «يصبح» أكثر أصلانية؟» وإن في قناع مستوطن. كما سجَّل خندقجي «مثلاً نافياً» لأطروحة فرانز فانون «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» لا يزال برسم القراءة. والثالث، أنّ الفلسطيني قادر على الاستئناف على مقولات «تجنيس العلاقات الحضارية» عبر رفع موضع التصعيد الجنسي لأجساد المستعمِرين والمستعمَرين إلى منطقة الرأس: «وجه نور» الذي يعبِّر عن حضور قناعات الفلسطيني وعدالة قضيته وصدقية سرديته التاريخية؛ و«قناع أور» الذي يعبِّر عن غياب الصهيوني رغم حضور وحشيته وهشاشة سرديته الاستعمارية؛ و«كشف سماء» الجليلية عن أوهام التنقيب الأثري، وضرورة تحرير الحواس من دون حرق الغابة. هنا، ينتصر الوجه على القناع، وتتمكن «المجدلية الحاضرة/سماء» من استبدال «المجدلية الغابرة/مريم» عند خط النهاية من خلال إصرارها على استحالة التكافؤ الأخلاقي مع العدو، وعلى أن الفلسطيني لا ينبغي أن ينتظر انتصار الخير في «معركة هارمجدون» حتى يعلن انتصاره على عدوه الصهيوني أخلاقياً وعسكرياً.

في الدرس النقدي القديم، تعلّمنا أن فصل الشكل عن المضمون جريمة، لكنّ لكل جريمة كفّارتها. ولعل الإبقاء على ثقافة السؤال حية هو أصعب كفّارة يمكن دفعها. ولذا، لا بد من فتح «لون بلون السماء» على سؤالين: على مستوى الشكل، وبما أن الروائي ألزم البطل الفلسطيني بانتحال قناع المستوطن الصهيوني، فهل من الضروري تخصيص قسم مكوَّن من فصلين لكل من «نور» و«أور» ليقول كل «روايته»، وإن خُفّف القسمُ المخصص لـ«سماء» من هذا التناقض؟ وعلى مستوى المضمون، هل يحق للقارئ أن ينتحل هشاشة جان لوك نانسي ويسأل: من هو «المقتحم L'intrus» في هذه الرواية؟ والسؤال هنا ليس على مستوى «انتحال» الهوية في الطبقة الأولى للسرد الروائي، ولا حتى على مستوى الانتصار في كشف سر المجدلية في التنقيب الأثري الذي يجريه مستعمرون صهاينة ومستعمَرون فلسطينيون (برعاية أميركية)، بل في شرعنة حضور الجلاد بكل هذا الثقل وبكل هذا الصلف في رواية الضحية، وكأن مقولة «التاريخ العلائقي»، التي تشبه دمَّلاً مزمناً في القفا في السياق الأكاديمي، تُرجمَت إلى مقولة «السرد العلائقي» في السياق الروائي. بالتأكيد لا سبيل إلى الخلاص من هذه «الثنائية» في وقت قريب، على الأقل، حتى ينتهي الاحتلال... وإلى حينه، ينبغي على الفلسطينيين التأمل ملياً في سؤال محمود درويش القديم: «ماذا سنكتب إن انتهى الاحتلال؟». السؤال الذي سجَّل به درويش تراجعاً جمالياً ملحوظاً عن تأمله الأسبق: «لولا المسدس لاختلط الناي في الناي» و«من صاغَ سيرته بمنأى عن هُبُوب نقيضها وعن البطولةِ؟ لا أحد».

*هذه المقالة هي خلاصة محاضرة أُلقيت في احتفال إطلاق رواية الأسير باسم خندقجي «قناع بلون السماء» (بيروت: دار الآداب. 2023) في 19 آذار (مارس) 2023 في حارة الياسمينة/حوش العطعوط في مدينة نابلس، فلسطين المحتلة.

Samedi 7 Octobre 2023 no82
السبت 7 تشرين الأول 2023 العدد 82

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

(أنجل بوليغان ـ المكسيك)

تحت القوس

صادف علوية

قاب قوسين أو أدنى من الهمجيّة
3

4
قاووش
عمر نشابة

مجموعة العمل المعنية بالسجون
تكاتف للتعامل مع التحديات خلف القضبان

5
في قلب القوس
رجا أبي نادر
ملعقة صغيرة لتحريك جبل من الرمال

7 ـ 6
المباحث العلمية
جنان الخطيب
المسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض الجنسية
هل العدوى جريمة؟

8
متابعة
أحمد مدلج
اغتصاب جماعي إسرائيلي في قبرص

متابعة

غرامات هزيلة... عقوبات لا تردع

تكتسب الغرامة أهمية خاصة لجهة الزجر الذي تمثّله كعقوبة جناحية تمنع المخالف من ارتكاب جريمة إذا علم أن عقوبتها ستمسّ ماله. لكنّ قيمتها المنصوص عنها في قانون العقوبات أصبحت هزيلة، مع تهاوي سعر صرف الليرة أمام الدولار، ما يستدعي من المجلس النّيابي التدخّل وتعديل قيمة الغرامات بما يعيد إليها قيمتها الزّادعة، ويؤمّن للخزينة مداخيل عادلة على أساس معدّل متحرّك. والصيغة المُثلى قد تكون باعتماد الحدّ الأدنى للأجور كمؤشّر في هذا المجال، خصوصاً أنه سبق لمجلس النواب أن اعتمد هذا المبدأ في عدد من القوانين

(حساب قوى الأمن الداخلي على فيسبوك)

صادق علوية

تراوح غرامة مخالفة الأنظمة الإدارية أو البلدية المنصوص عنها في قانون العقوبات اليوم، بين 100 ألف ليرة و600 ألف، بعد تعديلها عام 1983 بموجب المادة 49 من المرسوم الاشتراعي الرقم 112 تاريخ 1983/9/16، ثم بموجب المادة 165 من القانون الرقم 239 تاريخ 1993/5/27. فعلى سبيل المثال، من استحمّ على مرأى من المارة بوضع مغاير للحشمة، ومن ظهر في محل عام أو مباح للعامة بمثل ذلك الوضع، يعاقب بالحبس حتى ثلاثة أشهر على الأكثر ويُغرَم بين 40 ألف ليرة و400 ألف. ويعاقب المخالف الذي توصَل بالغش على رفع أو تخفيض أسعار البضائع أو الأسهم التجارية العامة أو الخاصة المتداولة في البورصة، بالحبس مع الشغل من ستة أشهر إلى سنتين، وبغرامة تراوح بين مليون ليرة و9 ملايين. وتصل غرامة استخراج مواد من الأملاك العمومية البحرية من دون رخصة إلى 500 ليرة عن كل متر مكعّب وفقاً لقانون صادر في 1953/12/10، ما يعني -بعمليّة حسابيّة بسيطة- أن استخراج جبل بحجم كيلومتر مكعّب سيكلّف المخالف غرامة قدرها 500 ألف ليرة، أي 5 دولارات ونصف دولار.

وتراوح غرامة ارتكاب الجنحة، حين لا ينصّ القانون على غرامة مختلفة، بين 50 ألف ليرة ومليونَين، إلا إذا نصّ القانون على غير ذلك، ومدّة الحبس المستبدل في حال عدم دفع الغرامة سنجري باعتبار أن يوماً واحداً من هذه العقوبة يوازي غرامة تراوح بين ألفي ليرة وعشرة آلاف. أما غرامة الشيك من دون مؤونة، فتراوح بين مليون ليرة وأربعة ملايين، ويُحكم بدفع قيمة الشك مضافاً إليه بدل العطل والضرر إذا اقتضى الأمر، إضافة إلى عقوبة الحبس من ثلاثة أشهر إلى ثلاث سنوات.

أما من يفتح أو يدير مركزاً تجميلياً من دون ترخيص، فيعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات، وبالغرامة من عشرة ملايين ليرة إلى خمسين مليوناً، أو بإحدى هاتين العقوبتين بموجب قانون تنظيم تراخيص مراكز التجميل الطبّية، رغم أن القانون صدر عام 2017 ويحمل الرقم 2017/30.

أما في قانون السير الجديد الرقم 2012/243، فإن كل سائق تسبّب خلال قيادته مركبة بموت إنسان عن إهمال أو قلة احتراز أو عدم مراعاة القوانين أو الأنظمة، يُعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من مليون ليرة إلى ثلاثة ملايين.

وحين صدر قانون نظام القياس في لبنان، رُفعت قيمة عدد من الغرامات، إذ إنه بموجب المادة 25 من القانون الرقم 158، 158 تاريخ 2011/8/17، فإن كل غش آخر سواء في كمية الشيء المسلّم أو ماهيته إذا كانت هذه الماهية هي السبب الدافع للصفقة، يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنة وبالغرامة من خمسين مليون ليرة إلى خمسة وسبعين مليوناً أو بإحدى هاتين العقوبتين.

ما ذكرناه سالفاً هو عيّنة من الغرامات التي سيحكم بها القضاء على المخالفين. ولولا صدور بعض القوانين الجديدة منذ عام 2005، لما كانت أيّ من الغرامات وصلت إلى رقم المليون.

> **تراوح غرامة التسبّب بموت إنسان بين مليون ليرة وثلاثة ملايين إضافة إلى الحبس**

الغرامات بعد انتهاء الحرب الأهلية

عام 1983، عُدّلت بعض أحكام قانون العقوبات بموجب المرسوم الاشتراعي 112/1983، واستُبدلت بموجبها بعض الغرامات بقيمة أكبر عندما بدأت القوانين اللبنانيّة تعرف الألف ليرة كوحدة نقدية، بعدما كانت غالبية الغرامات عبارة عن ليرات حين كانت لليرة قيمة شرائية جيدة.

إثر انتهاء الحرب الأهلية عام 1991 ودخول البلاد مرحلة من الاستقرار النّسبي على مستوى العملة الوطنيّة وسعر الصّرف للعملات الأجنبيّة، أصدر مجلس النوّاب قوانين عدّة بمضاعفة الغرامات المنصوص عنها في قوانين العقوبات. وزيدت قيمة غالبية هذه الغرامات مئة مرّة، بموجب الفقرة (1) من المادة (30) من القانون الرقم 91/89 تاريخ 1991/9/7 (قانون الموازنة العامة لعام 1991)، التي نصّت على أن تُحدد، خلافاً لأي نصّ آخر، مقادير الغرامات الواردة في النصوص القانونية التالية وفقاً للقيم والحدود المبيّنة في كل منها:

- تُرفع وبالحدود المرسومة لها قانوناً مئة مرّة مقادير مختلف الغرامات التي تقضي بها المحاكم، باستثناء ما ورد عنها في النصوص القانونية الصادرة من عام 1983 وما بعد فإنها تُرفع ثمانين مرّة.
- تُعدّل مقادير الغرامات النقدية الواردة في المادتين العاشرة والحادية عشرة من القانون الرقم 30 تاريخ 1932/8/5 (تنظيم نوادي صيد الحمام) لتراوح بين عشرة آلاف ومئة ألف ليرة لبنانية.
- تُعدل مقادير الغرامات النقدية الواردة في المادتين 31 و35 من قانون 7 حزيران 1937 (صنع العرق وتنظيم الكحول الصناعية) لتراوح بين مئة ألف وثلاثمئة ألف ليرة لبنانية.
- تُعدل مقادير الغرامات النقدية الواردة في المادتين التاسعة والعاشرة من القانون الصادر بتاريخ 1932/3/5 (رسوم المراهنات) وتعديلاته بحيث تراوح بين مئة ألف وثلاثمئة ألف ليرة لبنانية.
- مضاعفة مقادير الغرامات الواردة في المادة 25 من المرسوم الاشتراعي الرقم 66 تاريخ 1967/8/5 (قانون ضريبة الملاهي) والمعدّلة بموجب المادة 22 من قانون موازنة 1985 لتصبح في حال مخالفة أحكام المواد 6، و11، و12، و15 غرامة تعادل ضعفَي الضريبة.

عام 1992، زيدت معدلات الغرامات على مخالفات التبغ والتنباك بموجب القانون الرقم 175 تاريخ: 1992/12/22. وجرى تحديد قيمة هذه الغرامات بنسبة ضعفَي الزيادة التي طرأت أو قد تطرأ لاحقاً على الحدّ الأدنى للأجور المطبّق في 1961/1/1 ومقداره 125 ل.ل. الذي يُعدّ أساساً ثابتاً لكل عملية تحديد. عام 1993، عُدّلت بعض أحكام قانون العقوبات، وعدّت الحكومة حينذاك أن قانون العقوبات تضمّن في العديد من نصوصه غرامات فُرضت كجزاء نقدي على ارتكاب جرائم مختلفة محددة العناصر، وأنه بعد انقضاء ما يقارب تسع سنوات من عام 1993 على آخر تعديل له أو منذ عام 1983، وما رافق ذلك من انعكاسات على قيمة النقد الوطني، أدّى إلى فقدان الغرامات المذكورة مفعولها الرادع والزاجر، وأصبح من الضروري إعادة النظر في تحديد أرقام مبالغ الغرامات لتستعيد بعضاً من قيمتها التي اتخذت في الأصل أساساً لتحديد الجزاء.

وأضافت الحكومة أنه رغم أن قانون الموازنة لعام 1991 تضمّن نصاً في المادة 30 منه يضاعف الغرامات ثمانين مرّة، فقد ارتأت الحكومة رفع المبالغ الأصلية إلى مئتي مرّة بدلاً من ثمانين.

على هذا الأساس وُضع مشروع القانون، متناولاً بالتعديل جميع المواد المتضمّنة مبالغ نقدية بنسبة تأخذ في الاعتبار تدنّي قيمة النقد الوطني لتستعيد النصوص مفعولها الرادع. وبالفعل صدر حينذاك التعديل المطلوب بموجب القانون الرقم 239 تاريخ 1993/05/27.

في عام 2000، نصّت المادة 46 من قانون الموازنة العامة والموازنات الملحقة لعام 2000 (القانون الرقم 173 تاريخ: 2000/02/14) على مضاعفة الغرامات لمخالفة قانون العمل. وتضاعفت 25 ضعفاً قيمة الغرامات المحددة في المادتين 107 و108 المعدلتين من قانون العمل الصادر بتاريخ 23 أيلول 1946.

عام 2006، أصدر مجلس النواب قانوناً يعفي أصحاب العمل من عدد من غرامات مخالفات قانون الضمان الاجتماعي السابقة لصدوره، إلا أن القانون نفسه قرّر مضاعفة قيمة الغرامة ثلاث مرّات بموجب المادة الثانية من القانون الرقم 753 الصادر في 2006/5/22.

الحدّ الأدنى للأجور أساساً لتحديد قيمة الغرامة

انتهج مجلس النواب منحى مختلفاً في عدد من القوانين، فاصدر قوانين ذكرت الحدّ الأدنى للأجور كأساس لتحديد قيمة الغرامة، إذ تميّز قانون «الحدّ من التدخين وتنظيم صنع وتغليف ودعاية منتجات التبغ» الرقم 174 تاريخ 2011/08/29، باعتماده كأساس لمقدار الغرامة. فمخالفة عدد من مواده تراوح بين ضعفين إلى ستة أضعاف الحدّ الأدنى للأجور وغيرها من العقوبات التي يبلغ بعضها خمس الحدّ الأدنى مثلاً وغيرها من الغرامات المحددة بخمس الحدّ الأدنى للأجور.

فبعد أن كانت قيمة هذه الغرامة تراوح بين 1,350,000 ليرة و4,050,000 ليرة حين كان الحدّ الأدنى للأجور يبلغ 675 ألف ليرة، إلا أنه بمجرد رفع الحدّ إلى 9 ملايين أصبحت هذه الغرامة تلقائياً تراوح بين 18 مليون ليرة و54 مليوناً.

والأمر نفسه ينسحب على مخالفات

> **الحل الأمثل قد يكون بإقرار نصّ يقضي بزيادة الغرامة بنسبة ضعفَي الزيادة التي طرأت أو قد تطرأ لاحقاً على الحدّ الأدنى للأجور النافذ في كل حين**

قانون حماية نوعية الهواء الرقم 78 تاريخ: 2018/04/13، إذ تراوح الغرامة بين 25 ضعف الحدّ الأدنى للأجور و300 ضعف هذا الحدّ.

ويعاقب قانون الإدارة المتكاملة للنفايات الصلبة الرقم 80 تاريخ: 2018/10/10 منتجي النفايات ومستخدميها، ومستوردي المواد التي ينتج عنها نفايات وموزعيها، ومؤمّني الخدمات، والمشغّلين بالحبس من شهر إلى سنة و/أو بدفع غرامة تراوح بين 14 و70 ضعف الحدّ الأدنى للأجور وتصل الغرامة إلى 700 ضعف هذا الحدّ عند رمي ما يوازي أو يفوق 500 كلغ من النفايات الصلبة غير الخطرة في المياه، والتربة، وشبكات الصرف الصحي، أو غيرها من البنى التحتية والمواقع الطبيعية.

أما قانون تنظيم مهنة العلاج النفسي الحركي الرقم 137 تاريخ: 2019/07/09، فقد عاقب بالحبس ستة أشهر على الأكثر أو بغرامة تُقدّر من ضعف إلى عشرة أضعاف الحدّ الأدنى للأجور، كل من زاول المهنة بدون وجه حق.

وكذلك القانون الرقم 192 تاريخ: 2020/10/16 الذي يرمي إلى تعديل القانون الرقم 77 تاريخ 2018/4/13 «قانون المياه»، فإنه يعاقب بالحبس من يوم واحد إلى 10 أيام، وبغرامة تراوح بين مرّة ونصف الحدّ الأدنى للأجور و22 ضعف هذا الحدّ أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من قام بسحب المياه مخالفاً بفعله هذا موجب الاستحصال على الترخيص، ويعاقب بالحبس من عشرة أيام إلى ثلاث سنوات، وبغرامة تراوح بين 4 أضعاف الحدّ الأدنى للأجور و220 ضعف هذا الحدّ أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من أقدم عن قصد أو عن غير قصد، على إلقاء أو تسييل أو رمي أو سكب مادّة أو مواد تضرّ بالمياه السطحية أو الجوفية أو بمياه البحر...

وأيضا حين عُدّل القانون الرقم 2014/293 تاريخ 2014/5/7 (حماية النساء وسائر أفراد الأسرة من العنف الأسري) بموجب القانون الرقم 204 تاريخ: 2020/12/30، أصبحت غرامات جرائم العنف الأسري مرتبطة بالحد الأدنى للأجور.

إعادة القيمة الرّادعة

بتاريخ 2023/4/18، قرّر مجلس الوزراء الموافقة على رفع الحدّ الأدنى للأجور وصدر المرسوم الرقم 2023/11226 بتاريخ 2023/4/26 الذي يقضي بذلك، وبالتالي أصبح الحدّ الأدنى الرسمي للأجور 9 ملايين ليرة، ما يقضي بربط جميع الغرامات بالحد الأدنى سواء بذكر العقوبات بأنها أضعاف أو أجزاء من الحدّ الأدنى للأجور أو إقرار نصّ يقضي بزيادة الغرامة بنسبة ضعفَي الزيادة التي طرأت أو قد تطرأ لاحقاً على الحدّ الأدنى للأجور النافذ في كل حين. ولكن شرط أن يُعدّل الحدّ الأدنى تباعاً وألّا يقتصر الأمر على غرامات كبيرة برواتب هزيلة، فلو كنا في بلاد تتمتع بشفافيّة ضريبيّة لاقتضى أن تكون بعض الغرامات متناسبة مع راتب المخالف أو مع الدّخل الذي يجنيه لتكون أكثر عدالة.

تحت القوس

قاب قوسين أو أدنى من الهمجيّة

صادق علوية

لا تزال البلاد ترزح تحت وطأة الأزمة الاقتصادية والنقدية، إلا أنّ المستجدّ هذه الأيام هو التفلّت الأمني المتزايد في ظل غياب شبه كامل لحجرَي الأساس لقوى إنفاذ القانون المتمثّلين بالقوى الأمنية والقضاء، ما يدعو إلى ضرورة يقظة المعنيين والمسؤولين السياسيين من سباتهم العميق والالتفات إلى هذه المسألة، لا سيّما أن اللبنانيين قد بدأوا بالتكيّف مع غياب الدولة والتفاعل مع هذه الفكرة على نحو سلبيّ.

يخفي اللبنانيون اقتناعهم بأن غياب الحماية الاجتماعية المتمثلة بالاستشفاء والطبابة هو مسألة مسلّم بها، ويرضون بغيابها من دون أدنى تحرّك، وهو أمر يدلّ على مرض خفيّ يعجز العلماء عن تقصّي أسبابه. ولكن، عندما يشعر اللبناني بأنه معرّض للاعتداء الجسدي أو الافتئات على ماله أو على عائلته، فإن هذا ما سيفقده صوابه بلا شك.

اقتناع اللبنانيين بغياب الدولة يعني حكماً لجوؤهم إلى تأمين حاجاتهم الأساسية بشكل مباشر بمعزل عنها، لكن مسألة الأمن الذاتي خطرة لسبب بسيط يتعلق بسيادة الدولة وتحلّلها الفعلي.

فلجوء المواطن إلى تحصيل حقّه بيده، كما رأينا في أكثر من مناسبة، أمر يستدعي التدخل عاجلًا لمعالجة أمرين: الأوّل، هو الآثار المباشرة لغياب الدولة، أي منع مظاهر الأمن الذاتي. والثاني، هو أن يشعر المواطنون فعلاً بوجود الدولة التي لا يشعر الناس بوجودها إلا بفرض القوانين، وإلزام المواطنين بتنفيذ هذه القوانين.

لو افترضنا مثلاً أن مواطناً سُلبت سيارته وهو يعلم مكانها، فإذا حاول الاتصال بقوى الأمن الداخلي لن يتمكن هؤلاء من القيام بواجباتهم لأسباب عدة، أولها عدم وجود المعدّات اللوجستية والعملانية للقيام بمهماتها، وأبسطها عدم توافر الكهرباء في مراكز قوى الأمن أو عدم توافر محروقات لسياراتهم، أو غياب العناصر لعملهم في أمكنة أخرى بهدف تأمين لقمة العيش لأولادهم في ظل تدنّي الرواتب إلى ما لا يمكن أن يطيقه بشر.

قد يكون المواطن أمام خيارين، إمّا أن يرضى بخسارة ملكه وبالعجز المطلق أو أن يقتنع بأن إمكانية استعادة ملكه ستكون عبر الاستعانة بمسلحين. أو بـ«زعران» الحيّ أو حتى بأوادمه المسلّحين، لا فرق، ولكن إذا كان المسلوب إنساناً مخطوفاً، أبناً أو والداً أو أخاً، ماذا تراه يفعل؟ هنا لا يعود للمنطق أو للمبادئ أي اعتبار.

قد يكون من المناسب فعلاً تشديد العقوبات المترافق مع تطبيق القانون وأن يلقى الجاني، أيّ جانٍ، العقوبة المناسبة وفق معايير العدالة المتعارف عليها في المجتمع، وأن يرتدع عن تكرار الجرم، وألّا يسود منطق استسهال الجرم في ظل غياب الردع والعقوبة.

إن معرفة القوي بأنه أقوى من الدولة، ويقين المقتدر مالياً اقتداره على تأمينه حمايته لنفسه ولعائلته، هو أخطر ما يكون، أن تنتقل البلاد من مرحلة المجتمع المنظّم إلى مرحلة المجتمع الهمجي المتوحّش.

إن القضايا التي تعترض اللبنانيين في نهاراتهم البائسة تراوح بين تأمين لقمة العيش وتأمين الحماية الجسدية لهم ولعائلاتهم، وكلاهما خطيران.

لا يمكن نهائياً التسليم بفكرة مفادها إمكانية تعوّد اللبنانيين على غياب الدولة وأمنها وقضائها. فالمسألة تتجاوز الاحتياجات الأساسية لتصل إلى الاحتياجات الخطرة التي تهدد بنية المجتمع ككل.

غياب العدالة أو القلق المستمر من حصول اعتداء لا رادع له، يُعدّان من أخطر الحالات الاجتماعية التي قد تواجه أيّ مواطن أو حتى أيّ مقيم. سيدفع المرء إلى شيء يشبه الجنون أو اتخاذ تصرفات وقرارات غير مبررة، والأخطر من ذلك كله أن الناس باتوا يُشعرون المواطن الذي يؤمن بالدولة أنه في غير مكانه الطبيعي.

الأمر في غاية الخطورة ولا يستدعي أيّ تأخير، فقد نهوي أكثر في قعر من الفوضى.

قاووش

يبدوان التحدّيات التي تواجه نظام العدالة في لبنان لا نهاية لها، إذ تعاني أجهزة إنفاذ القوانين والدوائر القضائية والضابطة العدلية نقصاً حاداً في الموارد البشرية والمادية. ويعاني النظام القضائي ضعفاً متزايداً وتدخلات متكررة في عمله من قبل سياسيين وغيرهم من الجهات المؤثرة. أما السجون المكتظة بشكل خانق فتفتقر بشدّة إلى حاجاتها الاساسية، خصوصاً الخدمات الطبّية والغذاء وبرامج إعادة التأهيل. في ظل هذه الأزمات التي تبدو مستعصية، يسعى بعض المعنيين بالعمل اليومي في السجون إلى التكاتف والتضامن بهدف تخفيف المعاناة والسعي إلى حلحلة بعض المشكلات. علماً أن هذه المساعي تبقى محدودة، إذ لا بدّ من خطة نهوض شاملة لم تزّ النور حتى قبل تفاقم الأزمات. فرغم أهمية قطاع السجون، يبقى الاهتمام بإصلاحها بعيداً عن أولويات السلطة الحاكمة

مجموعة العمل المعنية بالسجون
تكاتف للتعامل مع التحديات خلف القضبان

عمر نشابة

تتفاقم الأزمة السياسية مع استمرار الانهيار الاقتصادي. القطاعان العام والحكومي هما الأكثر تضرراً بينما تتزايد بعض الجرائم العنيفة والسرقات وعمليات السطو المسلّح والنشل والاحتيال. صحيح أن الجيش وقوى الأمن الداخلي والأمن العام وأمن دولة والشرطة البلدية لا يزالون يعملون ويسعون، قدر المستطاع، للحفاظ على الأمن وعلى سلامة الناس وممتلكاتهم، لكن معنويات الضبّاط والعناصر تتراجع يوماً بعد يوم ورواتبهم بالكاد تكفي لتغطية كلفة حاجاتهم وحاجات عائلاتهم الأساسية.

يومياً، تلقي القوى الأمنية والعسكرية القبض على عشرات وأحياناً مئات المطلوبين أو المشتبه فيهم بارتكاب جرائم، بينما السجون مكتظة أصلاً والقضاء يعاني مشكلات عديدة تؤخر صدور الأحكام والقرارات القضائية. وقد أدى ذلك إلى مزيد من الاكتظاظ ما دفع بقوى الأمن الداخلي إلى الإبقاء على الموقوفين في نظارات المخافر ونظارات قصور العدل التي أصبح فيها الاكتظاظ أخيراً خانقاً، ولم تعد كافية لاستيعاب مزيد من المحتجزين حتى لو حشروا فيها حشراً. أضف إلى ذلك، ارتفاع نسبة النازحين السوريين في لبنان لتصل إلى أعلى نسبة في العالم، وقد بلغت نسبة الموقوفين والمحكومين السوريين في السجون والنظارات اللبنانية نحو 40%. والمشكلات لا تزال تتفاقم مع استمرار زيادة عددهم يومياً.

وتقدم بعض المنظمات غير الحكومية المساعدة من خلال تزويد السجون ببعض الحاجات الأساسية والأدوية، ومن خلال برامج إعادة التأهيل والتعليم، خصوصاً للسجناء الأصغر سناً، إلا أن الموارد شحيحة والمساهمات غير كافية.

وسط هذا الوضع العصيب، يبذل ضبّاط قوى الأمن الداخلي وعدد من المحامين وبعض العاملين في منظمات غير حكومية جهوداً للتعامل مع التحدّيات. واتفق بعضهم على عقد لقاءات دورية تطرح خلالها بعض المشكلات وتناقش الحلول وتطلق مبادرات مشتركة للعمل على حلّها أو التخفيف من أثرها. لم تتحول هذه اللقاءات إلى اجتماعات رسمية، رغم مشاركة ضبّاط رفيعين وقضاة مهمّين فيها، بعد حصولهم على أذونات من السلطات المختصة. فالاجتماعات الرسمية قد لا تكون منتجة في ظل الوضع الحالي الصعب الذي تعانيه السجون، وقد تبقى القرارات التي تُتخذ في هذه الاجتماعات حبراً على ورق، وقد لا تُقارب المشكلات بواقعية وصراحة وانفتاح خلالها. وبالتالي قرّر المشاركون في هذه اللقاءات التي باتت تعرف باسم اللقاءات الشهرية لمجموعة العمل المعنية بالسجون، أن تكون الزمالة والصداقة والهموم المشتركة هي الدافع الأساسي والنهج المتّبع.

طوّرت رؤية مجموعة العمل المعنية بالسجون خلال اللقاءات الأولى التي عقدت عام 2022، وربما كانت الأزمة الاقتصادية يومها في ذروتها وكانت التحدّيات التي تواجه إدارة السجون تتزايد، إذ أضيفت إليها التحدّيات المتعلقة بانتشار وباء كوفيد-19. وكانت هناك حاجة ماسّة لتأمين بعض الضروريات الأساسية مثل الطعام ومياه الشرب النظيفة والأدوية. وقد طغت الأزمة على كل شيء. ومع ذلك، تمكن المشاركون في المجموعة من الاتفاق على رؤية مشتركة شاملة ترتكز على جهد جماعي للمساعدة في تصحيح السلوك الإجرامي وتعزيز الكرامة الإنسانية، من خلال تقليل معاناة السجناء وعائلاتهم، وتأمين لوازم ضبّاط وحراس السجون في قوى الأمن الداخلي والموظفين المدنيين والمنظمات غير الحكومية الناشطة في السجون.

أما المنهجية فتعتمد الشمولية والتوجه التشاركي الشامل، إذ إن المجموعة منفتحة على جميع المعنيين بالسجون والمهتمين بتحسين أوضاعها. والباب مفتوح على إشراك كل مؤسسة ومنظمة أو جهات حكومية أو غير حكومية ومجموعات محلية ودولية تعمل في السجون ومعنية بأوضاعها بأي شكل من الأشكال.

تتكون مجموعة العمل المعنية بالسجون، حتى الآن، من مديرية السجون في وزارة العدل، وممثلين عن قوى الأمن الداخلي، ومستشار وزير الداخلية للسجون، ورئيس قسم السجون في وحدة الدرك الإقليمي، واللجنة القضائية لتخفيض مدة العقوبة السجنية ممثلة بأحد كبار قضاتها، ومحام يمثل نقابة المحامين في بيروت، والهيئة الوطنية لحقوق الإنسان التي غالباً ما يمثلها رئيسها، والمركز اللبناني لحقوق الإنسان، واتحاد حماية الأحداث، واللجنة الدولية للصليب الأحمر (بصفة مراقب) وعدد كبير من المنظمات غير الحكومية العاملة في السجون: الحركة الاجتماعية، وجمعية العدالة ورحمة (AJEM)، وجمعية الأب عفيف عسيران، وجمعية «نسروتو»، وكاريتاس، وجمعية «ريستارت»، ودار الأمل وجمعية «شيلد»، وجمعية «شبكة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للحد من مخاطر استخدام المخدرات» (MENAHRA)، وجمعية «سايرنز». الجدير بالذكر أن المشاركين في مجموعة العامل المعنية بالسجون دأبوا على دعوة زملائهم وأي منظمة أو مؤسسة تعمل في السجون أو معنية بتحسين أوضاع السجون للانضمام. وقام ضباط قوى الأمن الداخلي أخيراً بدعوة جنرال متقاعد، وهو طبيب أيضاً، للمشاركة في لقاء مجموعة العمل المعنية بالسجون لمناقشة التحدّيات التي تواجه الصحة في السجون. كما دعت المجموعة ممثلة عن منظمة الصحة العالمية لتقديم عرض حول برامجها في السجون اللبنانية والمشاركة في النقاش حول كيفية التعامل مع التحدّيات الصحية. وعلم المشاركون في المجموعة أن السفارة النروجية في بيروت ترعى برنامج دعم الصحة في السجون، لذلك أرسلت دعوة إليهم وأرسلوا ممثلين عنهم شاركوا في النقاش حول الصحة في السجون. كما طلبت وكالة التعاون الإسبانية

> **المجموعة منفتحة على جميع المعنيين بالسجون والمهتمّين بتحسين أوضاعها**

مشاركة مجموعة العمل المعنية بالسجون في ورشة عمل نظمتها بالشراكة مع قوى الأمن الداخلي حول السجون في لبنان.

أهداف مجموعة العمل المعنية بالسجون

تشمل أهداف المجموعة:

- تبادل المعلومات والخبرات والتشاور بين الزملاء.
- التنسيق بين المنظمات غير الحكومية والجهات المانحة من أجل:
  - منع ازدواجية البرامج والمساهمات.
  - تعزيز التعاون والمبادرات والبرامج المشتركة.
- التنسيق بين المنظمات غير الحكومية وقوى الأمن الداخلي والحفاظ على الاستقرار في السجون.
- التقارب والتنسيق بين المنظمات غير الحكومية وقوى الأمن الداخلي ومفوضي حقوق الإنسان والسلطات القضائية لمناقشة مختلف التحدّيات في إدارة السجون.
- تقديم الدعم لقوى الأمن الداخلي والسلطة القضائية للمساعدة في تخفيف اكتظاظ السجون.
- تركيز الجهود على تحسين أوضاع السجون من خلال العمل على تأمين الاحتياجات الطارئة.
- المشاركة الفعّالة في مبادرات تحسين أوضاع السجون وتقليل الاكتظاظ. وتشمل هذه المبادرات تطوير التشريع والرقابة البرلمانية وتعزيز دور مجلس القضاء الأعلى والمدّعي العام.

يتطلب تحقيق هذه الأهداف موارد بشرية ومادية كبيرة ليست متوفرة في كثير من الأحيان.

اللقاءات الشهرية لمجموعة العمل المعنية بالسجون مستمرة منذ عام 2022، وكان حضور المشاركين فيها منتظماً إلى حد كبير. وقد أرسل عدد من المشاركين اقتراحات تضمّنت موضوعات للمناقشة لإضافتها إلى جداول أعمال اللقاءات.

(السجن المركزي في رومية ـ هيثم الموسوي)

في قلب القوس

ملعقة صغيرة لتحريك جبل من الرمال

القاضي رجا أبي نادر *

منذ السنوات الأولى التي بدأت فيها العمل في وزارة العدل على السعي إلى تطوير نظام السجون في لبنان وتحسين أوضاعها، كانت هناك لحظات سعيدة ولحظات حزينة، بعض النجاحات وعدد لا بأس به من الإخفاقات، وكثير من الإحباط والقلق والغضب... ولكن كنت أسعى دائماً إلى إحداث فرق فعلي، وإلى أن أكون عاملاً للتطوير والتغيير نحو الأفضل. أما الدافع الأهم بالنسبة إليّ، فكان اغتنام هذه الفرصة للمشاركة والتعلّم والنمو.

كنت محظوظاً لأنني اكتسبت مهنياً، طوال هذه السنوات، أربعة دروس رئيسية:

- الدرس الأول: ليس هناك ما هو أكثر قداسة أو قيمة لأي فرد من حريّته وحقّه في العيش بكرامة.
- الدرس الثاني: يمكن لأيّ منا، في أي مجتمع، في أي لحظة من الزمن ولأي سبب، سواء أكان مبرراً أم لا، أن ينتهك القواعد الاجتماعية ويصبح سجيناً. ولا يفترض أبداً أن يكون السجن نهاية المطاف، بل ينبغي أن يشكّل نقطة تحوّل وانطلاق جديدة.
- الدرس الثالث: إن هدف العدالة الجنائية لا يقتصر على وضع أشخاص خلف القضبان، بل إن الهدف الأساسي لأي نظام إصلاحي، في أي مكان في العالم، هو حماية المجتمع، ويتحقق ذلك عبر إعادة التأهيل، وإعداد السجناء لإعادة الاندماج في المجتمع.
- الدرس الرابع: إن العمل في السجون هو عمل نضالي شاقّ وغير معترف به. إذ يُكلّف المتخصصون في الإصلاحيات بمسؤوليات صعبة بينما لا يحظى هؤلاء بالتقدير ولا يُعترف بجهودهم في الخدمة العامة. بعبارات أكثر وضوحاً، غالباً ما شعرنا وكأننا نستخدم ملعقة شاي صغيرة لتحريك جبل ضخم من الرمال، لنكتشف لاحقاً أن شخصاً ما يسكب الرمال على قمّته في الوقت نفسه.

يواجه نظام السجون اللبناني عدداً من التحدّيات منذ سنوات، وقد تفاقمت تلك التحدّيات أخيراً بسبب الأزمة الاقتصادية التي تواجهها البلاد، والتي أثّرت في كل لبناني، خصوصاً بين الفئات الضعيفة، مثل السجناء، في ظل الاكتظاظ والبنية التحتية المتداعية لمنشآت السجون وسوء الظروف المعيشية والخدمات الطبّية الهشّة وعدم كفاية المواد الغذائية.

يتوزع 25 سجناً على مختلف أنحاء البلاد، وتضاف إليها تسع نظارات تقع داخل مباني المحاكم. ويحتجز حالياً أكثر من 1000 سجين في المخافر ومراكز الشرطة لعدم وجود مكان لهم في السجون.

يبلغ عدد نزلاء السجون الإجمالي في لبنان حالياً نحو 9000، ونحو 200 امرأة و120 حدثاً.

أما نسبة السجناء الأجانب، فتصل إلى 40% من مجموع السجناء.

بوجود تشريع قديم عفا عليه الزمن، يعود تاريخه إلى منتصف القرن الماضي (المرسوم الرقم 14310 لعام 1949)، يعدّ نظام السجون اللبناني، الذي تديره وتشرف عليه «مؤقتاً» (منذ أكثر من خمسين عاماً) قوى الأمن الداخلي التابعة لوزارة الداخلية، نظاماً مترهلاً وعديم الفعالية وخارج نطاق عمل المؤسسات.

وقد أدى النقص الحاد في الموارد وغياب السياسات الإستراتيجية الإصلاحية إلى تراجع وضع السجون، حيث تدهورت البنية التحتية كثيراً وضعفت الرعاية الصحية الجسدية والعقلية، وارتفعت مستويات الفساد، وقلّت برامج إعادة التأهيل والتربية والتدريب الحرفي وباتت محدودة، وغاب أي تقييم دقيق لسلوك السجناء، كما غاب أي تصنيف دقيق لهم ولمتطلبات إصلاحهم.

وفي ظل الاكتظاظ الشديد الذي يصل إلى نسبة 300%، فإن أكثر من 65% من السجناء لم تصدر حتى اليوم أحكام قضائية نهائية في حقهم.

وتعود أسباب الاكتظاظ الخانق في السجون إلى بطء النظام القضائي ونقص حاد في الموارد، وميزانية محدودة جداً. أضف إلى ذلك، إرهاق القضاة والعاملين في الدوائر القضائية، ووجود قوانين تسمح بالتوقيف الاحتياطي إلى أجل غير مسمّى في بعض الحالات. وبسبب ذلك كله، والافتقار الشديد إلى نظام المراقبة القضائية والتدابير البديلة عن الاحتجاز، يواجه السجناء تأخيراً قد يطول إلى أكثر من عام لمجرد صدور الحكم في حقّهم. يشكل ذلك أربعة أضعاف متوسّط مدة الانتظار في أوروبا على سبيل المثال.

وإلى هذه التحدّيات الرئيسية التي يواجهها القضاء اللبناني، لا بد من الإشارة أيضاً إلى:

- غياب المكننة والرقمنة، والخلل في التواصل والتنسيق، وعدم وجود إدارة موحّدة للقضايا.
- تدنّي أجور الموظفين المدربين وإحباطهم.
- النقص الحاد في التدريب والتجهيز.
- عدم تحديث القوانين التي باتت قديمة أو ناقصة أو غامضة خصوصاً في مجالات الإجراءات الجنائية. ونشير هنا إلى الحاجة الى تعديل قوانين المخدرات، والحاجة إلى تطوير قوانين التدابير البديلة عن التوقيف والعقوبة.

في هذا السياق المظلم جداً، تظهر بعض المبادرات الإيجابية الهادفة إلى حماية حقوق الإنسان في السجون وتحسين الظروف المعيشية الصعبة على مختلف المستويات. ومن بين تلك المبادرات، إنشاء «مجموعة العمل المعنية بالسجون» التي تضمّ عدداً من الجمعيات والهيئات الحقوقية إلى جانب ضبّاط من قوى الأمن الداخلي ومسؤولين من وزارتَي العدل والداخلية. فالمجموعة هي منصّة تنسيق مشتركة بين المعنيين بالسجون، وقد أتاحت لنا المشاركة في حوارات بنّاءة ومباشرة بهدف تحديد القضايا الأساسية والتوصل إلى حلول مبتكرة. وسعت المجموعة إلى استعادة بصيص أمل إلى من فقدوا الأمل. إنها مبادرة رائدة حقاً، لا بدّ من دعمها واستدامتها.

* القاضي المشرف على مديريّة السجون في وزارة العدل

المختبر الجنائي

ينقل مصابون بأمراض جنسية العدوى إلى آخرين عن «سابق إصرار» لأسباب مختلفة، منها الحقد أو الغضب أو حتى «حبّ المغامرة» بجعل العلاقة الجنسية أكثر خطورة. ولأن ليس كل المصابين بأمراض تنتقل جنسياً، مثل فيروس نقص المناعة البشرية أو غيره، مذنبين بنقل العدوى عمداً، يلعب التحقيق الجنائي العلمي دوراً أساسياً في تحديد طريقة انتقال العدوى، مع الإشارة إلى أن المسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض المعدية ليست دائماً واضحة. فقد يكون من الصعب إثبات أن الشخص كان على علم بالإصابة أو أنه تصرف بطريقة غير قانونية، خصوصاً في ظل الافتقار إلى أي نصّ قانوني واضح يحدد المسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض المعدية عن طريق القصد أو الإهمال

المسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض الجنسية

هل العدوى جريمة؟

جنان الخطيب

تقول علياء (اسم مستعار) إن زوجها عانى أعراضاً شبيهة بالإنفلونزا لمدة طويلة بعد عودته من أفريقيا الجنوبية، رافضاً زيارة أي طبيب. بعد أشهر، بدأت الأعراض نفسها تظهر عليها «وبالتزامن اكتشفت أنني حامل، واعتقدت أن هذه من أعراض الحمل». بعد الولادة، اتصل بها أحد أقارب زوجها ونصحها بأن تجري تحليلاً طبياً للتأكد من سلامتها وطفلها من فيروس نقص المناعة البشرية (HIV)، «صرخت فيه إيدز! مستحيل. من وين بدو يجيبني؟». لتكتشف بعد تسلّمها النتيجة أنها وطفلها مصابان.

واجهت علياء زوجها الذي أنكر بداية، ثم عدّ الأمر بسيطاً وأجابها: «مرتي وجزّ فيكِ». وتقول إنها لم تكن تعلم بحقّها في رفع شكوى ضدّه، مضيفة: «أنا مش قاهرني غير ابني، لو صارحني كنا عالقليلة أنقذناه».

«بدأت تظهر زوائد جلدية كثاليل بيضاء خشنة على أعضائي التناسلية الخارجية» تقول لبنى (اسم مستعار)، مضيفة إنها شعرت بالذعر بعد انتشار هذه الزوائد إلى داخل عنق الرحم، خصوصاً أن زوجها ألقى اللوم عليها، مؤكداً أنه قد يكون نتيجة بكتيريا «من دوا تعقيم الثياب الداخلية بالغسيل». بعد الكشف السريري، تبيّن أن هذه الثاليل هي نتيجة عدوى فيروس الورم الحليمي البشري (HPV)، الذي انتقل إليها عبر زوجها، لا يؤدي النوع المصابة فيه لبنى إلى سرطان عنق الرحم، كما أكد لها الأطبّاء بعد إجراء الفحوصات اللازمة. لكن عملية كيّ الثاليل بالليزر سبّبت لها تقرّحات جلدية دائمة في أعضائها.

فمن المسؤول في كلتا الحالتين وكيف يُحاسَب؟ خصوصاً أنه قد تكون للأمراض المنقولة جنسياً عواقب وخيمة وطويلة الأمد، حتى إن لم تسبّب أي أعراض فورية. فبعض هذه الأمراض، مثل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، يمكن أن تكون قاتلة، بينما قد تؤدي أمراض أخرى، مثل الكلاميديا والسيلان والـHPV، إلى العقم وغيرها من المشكلات الصحية. تنتقل هذه الأمراض عن طريق الجماع المهبلي أو الشرجي أو الفموي، وكذلك عن طريق مشاركة الإبر أو نقل الدم. كما يمكن انتقال بعضها، مثل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، من الأمّ إلى الطفل أثناء الحمل والولادة.

وتلعب الأدلّة الجنائية دوراً في رفع مستوى الوعي حول الأمراض المنقولة جنسياً وفي منع انتقالها. إذ يمكن للعلماء الجنائيين تطوير طرق جديدة واستخدامها للكشف عن هذه الأمراض وتحديدها. كما يمكنهم العمل مع قوى إنفاذ القانون للتحقيق في قضايا الاعتداء الجنسي وتحديد الأفراد الذين ينشرون الأمراض المنقولة جنسياً عن قصد وملاحقتهم.

نقص في التشريع

تختلف المسؤولية الجنائية عن نقل الأمراض المعدية من بلد إلى آخر. بصورة عامة، تكون هناك مسؤولية جنائية عن نقل الأمراض المعدية إذا كان الشخص يعلم أنه مصاب بالمرض ويتصرف بطريقة تزيد من خطر انتقاله إلى شخص آخر. يمكن أن يشمل ذلك عدم إخبار الشريك الجنسي بالإصابة، أو القيام بنشاط جنسي غير آمن، أو التلاعب بوسائل منع الحمل. في بعض البلدان، قد تكون هناك أيضاً مسؤولية جنائية عن نقل الأمراض المعدية عن طريق الإهمال. وهذا يعني أن الشخص كان على علم بإمكانية إصابته بالمرض ولم يتّخذ خطوات معقولة لمنع انتقاله.

> وعلى خلاف لبنان، نصّ عدد من الدول، لا سيّما العربية منها، في قوانينها على تجريم نقل عدوى الإيدز عمداً على نحو خاص. ففي البحرين، نصّ القانون الرقم 1 لسنة 2017 بشأن وقاية المجتمع من مرض الإيدز (الإيدز) وحماية حقوق الأشخاص المتعايشين معه في المادة (22)، فيعاقَب بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبالغرامة التي لا تقل عن ألفي دينار ولا تجاوز عشرين ألف دينار، أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من تسبّب بخطئه في نقل الفيروس إلى الغير. ويعاقب بالسجن مدة لا تقل عن عشر سنوات وبالغرامة التي لا تقل عن عشرة آلاف دينار ولا تجاوز خمسين ألف دينار كل من تسبّب في نقل الفيروس عمداً إلى الغير. ويعدّ ظرفاً مشدداً إذا وقعت الجريمة نتيجة إخلال الجاني بما تفرضه عليه أصول وظيفته أو مهنته أو حرفته، أو إذا نشأ عن الفعل انتقال الفيروس لأكثر من شخص.
>
> **لم يتطرّق القانون اللبناني إلى جريمة نقل العدوى كجريمة مستقلة في ظل غياب نصّ خاص**

ومع عدم الإخلال بالمسؤولية الجنائية للشخص الطبيعي، يُعاقب الشخص الاعتباري بضعف الغرامة، بحدّيها الأدنى والأقصى، إذا ارتكب أحد العاملين لديه أيّاً من الجرائم المقرّرة بموجب أحكام هذا القانون.

أما القانون اليمني، فقد نصّ في المادة (36) من القانون الرقم 30، بشأن وقاية المجتمع من الإيدز وحماية حقوق المتعايشين مع الفيروس على أن: يعاقب كل من تسبّب في نقل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز بالعقوبات المقررة في قانون الجرائم والعقوبات.

أما في الكويت، فقد أصدر المشرّع الكويتي القانون الرقم 62 لسنة 1992، ونصّ في المادة (15) منه على أن «... يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز السبع سنوات وبغرامة لا تتجاوز سبعة آلاف دينار كل من علم أنه مصاب بفيروس الإيدز وتسبّب بسوء قصد في نقل العدوى إلى شخص آخر».

من جهة أخرى، لم يتطرّق القانون اللبناني إلى جريمة نقل العدوى كجريمة مستقلة، وفي ظل غياب نصّ خاص، يمكن تطبيق نصوص قانون العقوبات اللبناني وتكييف جريمة نقل العدوى بمرض الإيدز قصداً على أنها جريمة قتل وإيذاء، وذلك بخضع لأعمال سلطة القاضي وتقديره وتطبيق الواقع في حدود النصوص من دون إمكانية التوسّع.

إذ يُعاقب، وفقاً للمادة 564، بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات من تسبّب في موت أحد عن إهمال أو قلة احتراز أو عدم مراعاة القوانين أو الأنظمة. كما يُعاقب، وفقاً للمادة 550، بالأشغال الشاقة خمس سنوات على الأقل من تسبّب في موت إنسان من غير قصد القتل، بالضرب أو العنف أو الشدة أو بأي عمل آخر مقصود.

أدلة الخبراء

من الضروري النظر بعناية إلى الأدلّة حول ما إذا كان المصاب «المشتبه فيه» قد نقل في الواقع العدوى المنقولة جنسياً إلى «الضحية»، وما إذا كان قد فعل ذلك عن قصد أو عن إهمال.

ويكون ذلك عبر تقييم أدلّة الضحية والنظر إلى سجلاته الطبّية، ورواية المشتبه فيه وسجلاته الطبّية، بالإضافة إلى الأدلّة المتعلقة بالمصادر المحتملة الأخرى للعدوى.

من النقاط الرئيسية في التحقيق:

- تحديد ما إذا كان نوع الفيروس يمكن أن يستبعد إمكانية انتقال العدوى بين الشخصين، كأن يكون لديهما نوعان مختلفان من الفيروس نفسه. كفيروس الهربس البشري (HSV) النوع 1 والنوع 2.
- يمكن للتحليل التطوّري phylogenetic analysis، في حالة فيروس نقص المناعة البشرية، أن يثبت على نحو مؤكد أن المشتبه فيه لم ينقل العدوى إلى الضحية. مع الأخذ في الحسبان أن هذا التحليل لا يمكنه إثبات العكس (أن المشتبه فيه قد أصاب الضحية فعلاً).
- يمكن استخدام اختبارات متقدمة، في حالة الإيدز، لتحديد ما إذا كانت العدوى حديثة أم قديمة.

جريمة مضاعفة

يمكن أن يساعد التحقيق الجنائي للأمراض المنقولة جنسياً في تحديد ما إذا كان المرض الجنسي المنقول قد نُقل أثناء الاعتداء الجنسي أم لا. وتشمل الخطوة الأولى في التحقيقات جمع الأدلّة من الضحية (مسحات الأعضاء التناسلية، والفم، والمستقيم وعيّنات البول والدم)، بإضافة إلى جمع أدلّة من المشتبه فيه، مثل عيّنات السائل المنوي أو اللعاب. ويعتمد نوع الاختبارات التي تُجرى على المرض الجنسي المنقول المحدد أثناء التحقيق فيه. كما يستخدم اختبار المخدرات في بعض الأحيان في قضايا العدوى المنقولة جنسياً لتحديد ما إذا كان الضحية أو المشتبه فيه تحت تأثير المخدرات في وقت الاعتداء. كذلك يمكن إجراء اختبار المخدرات لتحديد ما إذا كان المشتبه فيه قد استخدم المخدرات لشلّ حركة الضحية.

إذا كانت نتائج اختبارات المختبر إيجابية لمرض منقول جنسياً، فقد يكون هذا دليلاً قوياً على تعرض الضحية للاعتداء الجنسي. ومع ذلك، من المهم ملاحظة أن هذه الأمراض يمكن أن تنتقل أيضاً عبر الاتصال الجنسي بالتراضي. لذلك، فإن وجود مرض منقول جنسياً وحده لا يكفي لإثبات حدوث اعتداء جنسي. بالإضافة إلى اختبارات المختبر، سيأخذ المحقق الجنائي في الحسبان عوامل أخرى أيضاً، مثل التاريخ الطبي للضحية، وحجة المشتبه فيه، وظروف الاعتداء المزعوم. فمن الضروري تقييم هذه المعلومات كلها بعناية قبل التوصل إلى نتيجة.

بعض أنواع الأمراض المنقولة جنسياً

■ فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز (HIV/AIDS):

- الأكثر خطورة، يمكن أن يؤدي إلى الوفاة.
- ينتقل عبر:
- ممارسة الجنس المهبلي أو الشرجي مع شخص مصاب.
- مشاركة إبر الحقن أو معدّات حقن المخدرات مع شخص مصاب.
- تلقّي نقل دم أو زرع عضو من شخص مصاب.
- الولادة/الرضاعة الطبيعية من أمّ مصابة.
- لا يوجد علاج للإيدز، ولكن تتوافر علاجات مضادة للفيروسات الرجعية (ART) التي يمكن أن تساعد في إطالة العمر وتحسين جودة الحياة.

■ فيروس التهاب الكبد (Hepatitis)

- التهاب الكبد C: النوع الأكثر خطورة والأكثر عرضة للبقاء كعدوى مزمنة، ويمكن أن يؤدي إلى تليّف الكبد والسرطان.
- التهاب الكبد B: عدوى خطيرة، لكنه أقل عرضة للبقاء مزمناً، مع توافر لقاح يمكن أن يمنع العدوى.
- ينتقل الفيروس عبر الاتصال المباشر لدم المتلقّي مع دم المصاب، وعبر الاتصال بسوائل الجسم الأخرى، مثل السائل المنوي وسوائل المهبل واللعاب، كذلك في الولادة/الرضاعة الطبيعية من أمّ مصابة.
- لا يوجد علاج لالتهاب الكبد B، ولكن تتوافر أدوية وعلاجات يمكن أن تساعد في قمع الفيروس ومنع تلف الكبد.
- التهاب الكبد الوبائي C، قابل للشفاء عبر أدوية مضادة للفيروسات عالية الفعالية.

■ فيروس الورم الحليمي البشري (HPV)

- اسم لمجموعة من أكثر من 200 نوع من الفيروسات التي يمكن أن تسبب الثاليل التناسلية والسرطان.
- أكثر عدوى منقولة جنسياً شيوعاً.
- يمكن أن ينتقل عبر ملامسة الجلد للجلد أثناء الجنس المهبلي أو الشرجي أو الفموي.
- يوصى بلقاح HPV للفتيات والفتيان جميعهم الذين تُراوح أعمارهم بين 11 و12 عاماً، لكن يمكن إعطاؤه للأشخاص الذين تصل أعمارهم إلى 45 عاماً ولم يجرِ تطعيمهم.

(من الويب)

شهادة طبّية معدّلة

أعلنت وزارة الصحة العامة عن بدء العمل بالشهادة الطبّية قبل الزواج «المعدّلة*» منذ عام 2015. على أن تتألف المشورة الطبّية من فحص الدم العادي للشريكين، بالإضافة إلى التحاليل الخاصة بالمرأة (فحص الحصبة الألمانية والتكسوبلاسما). أمّا الأمراض الموصى بإجراء فحوصات مخبرية لها قبل الزواج، فتتضمّن الأمراض الوراثية، وعلى رأسها فقر الدم المنجلي والتلاسيميا، إضافة إلى تقصّي الأمراض العائلية المتفرقة المعروفة لكِلا الشريكين والأمراض المعدية كالإيدز والتهابات الكبد الفيروسية وغيرها. والهدف منها محاولة تجنّب هذه الأمراض عن طريق العلاج أو أخذ اللقاح المناسب أو من أجل إعلام الطرف الآخر بخطورة انتقال المرض إليه وطرق الوقاية منه.

*تعديل القرار الرقم 1/857 تاريخ 1994/8/29 المتعلق بتنفيذ القانون الرقم 334 تاريخ 1994/5/18 (الشهادة الطبّية قبل الزواج).

■ الزهري Syphilis

- تسببها بكتيريا Treponema pallidum.
- تنتقل عن طريق الاتصال المباشر مع قرحة الزهري، والمعروفة أيضاً باسم القرحة الصلبة التي تظهر على الأعضاء التناسلية أو الفم أو المستقيم.
- تنتشر أثناء الجماع المهبلي أو الشرجي أو الفموي. ويمكن أن تنتقل أيضاً من المرأة الحامل إلى جنينها.
- إذا تُرك الزهري من دون علاج، يمكن أن يسبّب مشكلات صحية خطيرة، بما في ذلك:
- العقم عند الرجال والنساء.
- الإجهاض أو الولادة المبكرة عند النساء الحوامل.
- عيوب خَلقية لدى الأطفال المولودين لأمّهات مصابات.
- مشكلات عصبية، مثل الخرف والتهاب السحايا.
- مشكلات القلب والأوعية الدموية، مثل تمدد الأوعية الدموية الأبهري.
- الموت.

■ الفيروسات الهربسية البسيطة (HSV)

- النوع الأول (HSV-1): يسبب عادةً الهربس الفموي، المعروف أيضاً باسم القروح الباردة.
- النوع الثاني (HSV-2): يسبب عادةً الهربس التناسلي.
- تنتقل عبر الاتصال المباشر مع تقرّحات شخص مصاب أثناء الجماع المهبلي أو الشرجي أو الفموي. كما يمكن أن تنتقل من امرأة حامل إلى طفلها أثناء الولادة.
- لا يوجد علاج، ولكن تتوافر أدوية للمساعدة في إدارة الأعراض والحدّ من خطر التفاقم.

■ الكلاميديا Chlamydia

- تسبّبها بكتيريا Chlamydia trachomatis.
- واحدة من أكثر العدوى المنقولة جنسياً شيوعاً في العالم، وبين فئة الشباب على نحو خاص.
- تنتقل عن طريق الجماع المهبلي أو الشرجي أو الفموي ومن الأمّ إلى الطفل أثناء الولادة.
- إذا تُركت من دون علاج، يمكن أن تؤدي إلى مشكلات صحية خطيرة كالحمل خارج الرحم والعقم.

■ السيلان Gonorrhea

- تسبّبها بكتيريا النيسرية Neisseria gonorrhoeae.
- تنتقل عن طريق الجماع المهبلي أو الشرجي أو الفموي. ويمكن أن تنتقل أيضاً من الأمّ إلى الطفل أثناء الولادة.
- قابلة للشفاء، ولكن من المهم الحصول على العلاج مبكراً لمنع المضاعفات الصحية الخطيرة.

> **تلعب الأدلّة الجنائية دوراً في رفع مستوى الوعي حول الأمراض المنقولة جنسياً وفي منع انتقالها**

متابعة

يُحاكم خمسة إسرائيليين موقوفين في قبرص منذ أوائل أيلول المنصرم، بعد اتّهامهم بارتكاب جريمة اغتصاب جماعيّ لامرأة بريطانية في 3 أيلول 2023. وكانت سائحة بريطانية أخرى قد تقدمت بشكوى مماثلة عام 2019، قالت فيها إن 12 إسرائيلياً اغتصبوها قبل أن تتراجع عن إفادتها وتتوقف الملاحقة القضائية. فهل يتكرر الأمر؟ أم أن الضحية الجديدة ووكيلها القانوني البريطاني، مايكل بولاك، لن يرضخا للضغوطات لمنع ملاحقة إسرائيليين، بحجة «معاداة السامية» أو بحجج أخرى تفتح المجال للإفلات من العقاب؟

اغتصاب جماعي إسرائيلي في قبرص

أحمد مدلج

الصورة التي انتشرت رسمياً أثناء اعتقال الخمسة (www.thesun.co.uk)

ادّعت سائحة بريطانية تبلغ من العمر 20 عاماً أنها تعرضت لاغتصاب جماعي «مرّات عدة» من خمسة إسرائيليين في فندق فيدرانيا غاردنز (Federania Gardens) في مدينة أيا نابا القبرصية. وقالت إنها التقت أحد المتهمين قرب حمام السباحة، في حفل أقامه الفندق، وأجبرها على الصعود إلى غرفته حيث حاول نزع ثوب السباحة الذي كانت ترتديه، غير آبه بتوسلاتها، قبل أن يدخل بقية المتهمين إلى الغرفة ويجبرونها على ممارسة الجنس مستخدمين العنف.

وأوضحت الشرطة القبرصية أن ثلاثة إسرائيليين ارتكبوا جريمة الاغتصاب، ويُعتقد أن اثنين اشتركوا في الجريمة بعد محاولتهما إزالة بقع الدم عن أرضية غرفة الفندق باستخدام بطانيات السرير. وقد تعرفت إليهم الضحية بعد مرور عدد من الأيام على الحادثة.

واستمعت السلطات القبرصية إلى إفادات عدد من موظفي الفندق، فيما جمع المحققون الجنائيون الأدلة من الغرفة، وتمكنوا من تحديد البصمات وآثار الدماء والسائل المنوي. وأُخذت عيّنات الحمض النووي من الضحية والمتهمين. أشار تقرير الطبيب الشرعي إلى أن الضحية كانت مصابة بعدد من الكدمات والسحجات على ذراعيها.

وصف محامي المتهمين، نير ياسلوفيتسه، التحقيق بأنه مليء بالثقوب مثل «قالب جبن سويسري». وشبّه القضية بأخرى مماثلة حدثت في أيا نابا (2019)، وبُرِّئَ فيها المتهمون. وقال: «سيُثبت ذلك في هذه القضية أيضاً، فالمتهمون أبرياء ولم يرتكبوا أي جريمة». في حين قال المدّعي العام القبرصي إن «الاعتداء كان مروّعاً، ويفضل أن تبقى بعض تفاصيله بعيدة عن الإعلام».

ثيوفيلو رفض إخلاء سبيلهم

بدأت محاكمة الإسرائيليين الخمسة في الخامس من الشهر الجاري، بعدما رفض قاضي المحكمة الجزائية في فاماغوستا، بيتروس ثيوفيلو، إخلاء سبيلهم في 12 أيلول 2023، لأنه وجد عناصر كافية في القضية تدل إلى «احتمال معقول» لتورّط المتهمين في جريمة الاغتصاب الجماعي، وقرر إبقاءهم رهن الاحتجاز حتى تتمكن الشرطة من جمع مزيد من الأدلة. وقد صودرت هواتف المتهمين المحمولة بحثاً عن مقاطع فيديو أو صور تتعلق بالجريمة وبالظروف المحيطة بها. تداولت وسائل إعلام قبرصية أمس خبر تأجيل محاكمة المتهمين الإسرائيليين إلى 16 تشرين الأول الجاري، بعدما طلب محامي الدفاع وقتًا إضافياً للرد على التّهم الموجهة إلى موكّليه.

تناقض إفادات

نفى المتهمون الإسرائيليون الخمسة، في بداية التحقيق معهم، ضلوعهم في جريمة الاغتصاب وأكدوا أنهم لم يمارسوا الجنس مع الفتاة البريطانية. ومع تقدّم التحقيق أقرّ اثنان منهم بذلك، زاعمين أن الأمر حصل بالتراضي. فيما الثلاثة الباقون نفوا الاتهامات على نحو قاطع.

تواطؤ الشرطة القبرصية؟

بعد تبرئة المحكمة القبرصية المستوطنين الـ12 في جريمة اغتصاب بريطانية في تموز عام 2019، سُجنت هذه الأخيرة. لكن ضحية الاغتصاب الجماعي التي أُدينت بالكذب، استأنفت الحكم أمام المحكمة العليا في قبرص، وعادت إلى بريطانيا بعدما علّق تنفيذ الحكم بسجنها. أوضحت منظمة «العدالة في الخارج»، وهي مجموعة قانونية تتابع قضايا البريطانيين خارج الأراضي البريطانية، أن الضحية لم تحاكم بطريقة عادلة، وأن الحكم الصادر في حقها «ينتهك» حقوقها جميعها. وانتقد رئيس الجمعية، المحامي مايكل بولاك (الذي نسّق مع محامين آخرين لاستئناف القرار)، الطريقة التي تعاملت فيها المحكمة مع الضحية والشهود. ولفت بولاك إلى أن في إدانة الضحية انتهاكاً للقانون القبرصي واستهزاءً بالالتزامات الدولية التي نصّت عليها اتفاقية حقوق الإنسان الأوروبية، بحسبان قبرص عضواً في الاتحاد الأوروبي.

فبعد أن كانت الضحية البريطانية قد اتهمت 12 سائحاً إسرائيلياً باغتصابها في غرفة فندق، تراجعت عن أقوالها، عند توقيعها مذكرة تنفي فيها ادّعاءاتها. ذلك، ووفقاً لادّعائها، حصل نتيجة تعرضها للضغط من الشرطة القبرصية، بعد ساعات من استجوابها من دون حضور أي ممثل قانوني معها.

> **المدّعي العام القبرصي: الاعتداء كان مروّعاً ويفضل أن تبقى بعض تفاصيله بعيدة عن الإعلام**

الأمر يتكرر في اليونان

ألقت السلطات اليونانية، في 2 تموز الماضي، القبض على إسرائيلي بعد الاشتباه فيه بارتكاب جريمة اغتصاب بريطانية تبلغ من العمر 21 عاماً في منطقة كيراميكوس. وأفادت الشرطة اليونانية أن الفتاة اغتُصبت بعدما التقت في ملهى ليلي المتهم الذي استدرجها إلى فندق، حيث اغتصبها بينما كان ثلاثة من أصدقائه يصورون الجريمة بهواتفهم المحمولة.

كما ألقت الشرطة اليونانية القبض في جزيرة كريت على إسرائيليَّين آخرين في 4 أيلول 2019، بعدما اتّهمتهما سائحة ألمانية تبلغ من العمر 19 عاماً بالتحرّش بها واغتصابها.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com